الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج

استدعاء الذاكرة في
رواية عناق الأفاعي لعزالدين جلاوجي

مذكرة لنيل شهادة الماستر

تخصص : أدب حديث ومعاصر

من إعداد الطالبتين : علية بن سليمان

منيرة كنونة

نوقشت وأجريت علنا بتاريخ:2022/06/14

أمام اللجنة المكونة من السادة:

د.حمزة قريرة	.....	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	رئيسا
د.نوال قرين	.....	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا
د.عبد الحميد هيمة	.....	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مشرفا

الموسم الجامعي 2021/ 2022

1443/1442

شكـــر و عرفـــان

الشكر لله أولا وأخيرا على حسن توفيقه، وكريم عونه لنا في انجاز هذه المذكرة،

ونتوجه بصدق الوفاء والإخلاص بكل الشكر، والعرفان لأستاذنا الكريم "عبد الحميد هيمة" الذي تفضل بالإشراف على بحثنا، وقدم لنا الدعم، والتوجيه، والنصائح التي أفادتنا كثيرا في إنجاز البحث.

كما لايفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى السادة أعضاء اللجنة، على التوجيهات المقدمة والى كل أساتذتنا الكرام في قسم اللغة والأدب العربي والى كل الطلبة .

أهـــــدي ثمرة جهـــدي

إلى الصدر الحنون والقلب الرحيم إلى النعمة الربانية والمنحة الإلهية

التي حملتني وهنا على وهن وغمرتني بحبها ودعواتها إلى أغلى وكل ما أملك في الوجود

أمي حفظها الله ورعاها وأطال الله في عمرها

إلى الذي علمني الصبر والكفاح ورمز الأمان أبي حفظه الله

إلى من قاسمني الحياة بحلوها ومرها إلى أغلى ما يملك قلبي إخوتي وأولادهم كل واحد بإسمه

إلى أستاذي العزيز وقدوتي ونور دربي الذي بعث فيا الأمل والتفاؤل والثقة وغرس فيا

حب العلم والمعرفة أستاذي المحترم عبد الحميد هيمة حفظه الله وجعله شمعة مضيئة

كما عهدنـــاه دومـا

إلى كل أصدقائـــي الذين جمعتني بهم أحلى وأجمـل لحظـات الحيـاة

إلى كل من كان له لمسة في خروج هذا العمـل الى النـــور

إلى كل من علمني حرفا إلى كل أساتذة جامعة قاصدي مرباح بورقلة خاصة قسم اللغة

والأدب العربي من بينهم الأستاذ حمزة قريرة والأستاذ مشري عبد الناصر

ورقلة في :2022/05/21

بن سليمان علية

الإهداء

أتقدم بإهداء هذه الثمرة النبيلة وهذا العمل المتواضع

إلى تلك التي سقتني من ماء حليبها الطاهر وجعلت مني طالبة بكل إنسانيتها

أمي الغالية بارك الله في عمرك إلى ذاك لم يحرمني فرصة الدراسة الجامعية

أبي الحنون بارك الله في عمرك

إلى من بهم اكبر وعليهم استند إخوتي الأعزاء كل واحد باسمه

إلى أخي الذي لم تنجبه أمي "عبد الحق عويشات"

إلى كل من تقاسمت معهم حياتي بحلوها ومرها صديقاتي الغاليات

كل واحدة باسمها

إلى كل من قدمي لي يد المساعدة ولو بكلمة طيبة

إلى كل من سعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي والى من ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي .

منيرة كنونة

ورقلة في :2022/05/21

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	أ
تمهيد: استدعاء الذاكرة الوطنية في الرواية الجزائرية	5
الفصل الأول: طرق استدعاء الذاكرة في رواية عناق الأفاعي	
المبحث الأول: الطريقة المباشرة.....	9
المبحث الثاني: الطريقة غير المباشرة / المتخيل	16
الفصل الثاني: علاقة الذاكرة بمكونات السرد في رواية عناق الأفاعي	
المبحث الأول:الشخصية.....	26
المبحث الثاني: الزمكان	38
خاتمة	50
قائمة المصادر و المراجع..... .	56
الملحق	60

مقدمة

يعد استدعاء الذاكرة الوطنية، مظهرا بارزا في الرواية الجزائرية الحديثة، حيث تستدعى الذاكرة لدى كثير من الروائيين الجزائريين، وقد ظهر هذا الاهتمام بالذاكرة والتاريخ على خلفية البحث عن كل ما له صلة بالهوية، والرغبة في التأصيل، ويمكن اعتباره منطقة برزخ بين ذاكرة الشعوب ورؤاها المستقبلية، لأن الذي لا يملك الذاكرة لا يملك المستقبل .

وفي روايات عز الدين جلاوجي، تستدعى الذاكرة في كثير من أعماله الروائية كما هي الحال في روايته " عناق الأفاعي "، التي تستدعي الذاكرة التاريخية بطريقة فنية و تروي لنا الظروف التي مرت بها الجزائر بخاصة بعد الحملات الاسبانية إلى الوجود العثماني ثم الغزو الفرنسي الذي واجهته المقاومات الشعبية الجزائرية بشدة وتحديدا مقاومة الأمير عبد القادر التي استمرت أكثر من خمس عشرة سنة، والتي أرهقتها الخيانات الغادرة قبل غطرسة و وحشية الجيش الفرنسي بأسلحته الفتاكة .

وهذا ما يمكن أن نسميه " التخييل التاريخي " أو المادة التاريخية المتشكلة بوساطة السرد، وقد انقطعت عن وظيفتها المرجعية واكتسبت وظيفة جمالية

من هنا جاء موضوع بحثنا بعنوان : " استدعاء الذاكرة في رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي " من أجل الإجابة عن إشكالية رئيسة تمثلت في :

إشكالات البحث:

يطرح البحث جملة من الإشكالات، التي يمكن تحديدها في مايلي :

– ما موقع الرواية الجزائرية عامة ورواية جلا وجي خاصة من الاهتمام باستدعاء الذاكرة؟

– لماذا سعى جلاوجي في هذه الرواية إلى استدعاء حقبة المقاومات الشعبية بعد دخول الاحتلال الفرنسي ؟

– كيف تستدعى هذه الذاكرة في رواية جلاوجي، هل تستدعى بلغة التاريخ، أم بلغة الفن الروائي؟ و كيف بنى جلاوجي متخيله السردي في هذا العمل .. ؟

أسباب اختيار الموضوع:

واختيارنا لهذا الموضوع يرجع إلى أسباب أهمها:

1– مكانة الذاكرة في الرواية الجزائرية عامة وروايات عز الدين جلاوجي على وجه الخصوص.

2– الإستدعاء الواضح للذاكرة في هذه الرواية " رواية عناق الأفاعي. "

الدراسات السابقة:

أما فيما يخص الدراسات السابقة، فإننا نذكر بداية بأن هذه الرواية صدرت حديثا، ولذلك فإننا لم نعثر على أية دراسة سابقة لها، في حدود علمنا، ولكننا نشير إلى بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع في مدونات أخرى، من ذلك :

_ التخييل التاريخي في الرواية المغاربة ،الجزائر ،المغرب ، تونس) بحث لنيل شهادة دكتوراه من إعداد الطالبة (شامخة طعام) جامعة وهران.

_ التخييل التاريخي واستدعاء الذاكرة في رواية " الديوان إلسبرطي " لعبد الوهاب عيساوي من إعداد الطالبة إدريس سامية، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية _ الجزائر .

_الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة " روايات الطاهر وطار أنموذجا " دراسة تحليلية تفكيكية أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه" العلوم في النقد الأدبي الحديث " إعداد الطالب :عبد الرزاق بن دحمان.

_ مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي " الرواية والتاريخ دراسة في العلاقات النصية " رواية العلامة لبن سالم حميش نموذجا إعداد الطالبة : سليمة عذاوري.

_الخامسة علاوي التاريخ وأدبيات التجريب في الرواية الجزائرية (حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر أنموذجا)

منهج البحث:

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي الذي يناسب طبيعة البحث التي تتناول أشكال وطرق استدعاء الذاكرة الوطنية في هذه الرواية على مستوى مكونات الخطاب السردي .

خطة البحث:

اشتمل البحث على مدخل عام وفصلين،

أولا: تمهيد تناولنا فيها استدعاء الذاكرة الوطنية في الرواية الجزائرية

الفصل الأول: طرائق استدعاء الذاكرة في الرواية

1-الطريقة المباشرة

2-الطريقة غير المباشرة / المتخيل

الفصل الثاني: علاقة الذاكرة بمكونات السردي في رواية عناق الأفاعي

1-علاقة الذاكرة بالشخصية

2- علاقة الذاكرة بالزمكان

وختمنا البحث بأهم النتائج التي توصلنا إليها.

كما واجهتنا بعض الصعوبات متعلقة بطبيعة دراسة الرواية وذلك لأن الرواية حديثة الصدور، إضافة إلى أن على الباحث في هذا الموضوع أن يكون كثير الإطلاع على التاريخ لكي يستطيع فك شفرات الرواية.

في الختام نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور :عبد الحميد هيمة الذي قدم لنا توجيهات وملاحظات أفادتنا في البحث، كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى السادة أعضاء اللجنة على مناقشتهم بحثنا وعلى التوجيهات والنصائح المقدمة، و الشكر موصول إلى كل أسادتنا الكرام في قسم اللغة والأدب العربي وإلى موظفي المكتبة، و كل الطلبة. والله من وراء القصد

ورقلة في :2022/05/24

بن سليمان علية

كنونة منيرة

تمهيـــد:

تعد الرواية التاريخية ضرب من الرواية، ويعود ذاك إلى قيمتها ومكانتها التراثية والتاريخية التي تزخر بها لذلك انشغل بها العديد من الروائيين المحدثين خاصة، لأنها تعتبر بمثابة ذلك الدلو الذي يصب فيه الروائي كل أفكاره، وإديولوجيته بالإضافة إلى توجهه اتجاه الأحداث التاريخية.

حيث تعد المنظومة الروائية من أهم المنظومات السردية، القائمة على خلخلة المعطى التاريخي، انطلاقا من انتزاع صفة القداسة التي كان يصبوا إليها.

إذا كان التاريخ نبراس كل أمة وشاهدها، هذا يعني أنه لايمكن التغاضي عنه وتجاهله، فكم من الأمم طمست معالمها، في غياب تاريخها فالتاريخ يعتبر ذاكرة جماعيـة تعـادل الذاكرة الفردية والتفريط فيه من شأنه أن يعرض مجتمعا بكامله إلى فقدان الذاكرة، ومن هنا يصبح التاريخ تفجير المدلولات عن طريق الخلخلة واللعب الحر بالماضي، فهو سفـر للماضي بغية اكتشاف الحاضر وتخليد بطولات الأجداد.

فالتاريخ هو المجال الخصب بالنسبة للأديب فمنه يستلهم إبداعاته، إذ أنه النتاج الأدبي الذي يتخذه الروائي كأداة لصياغة أفكاره، فحين أن الرواية كجنس تاريخي منهم من عدها نصا تخيليا من جهة، ومنهم رأى بأنها جنسا مفتوحا على الكثير من المعارف التي تشكل نصا يتفاعل معه التاريخ بوصفه مجموعة من الأحداث الواقعية السابقة.

فمن هنا عدت الرواية، قصة ذات طابع تخيلي فهي تستدعي الماضي من أجل الوصول إلى الحاضر، فالرواية التاريخية تبني مادتها الحكائية من الحدث التاريخي، حيث تعتمـد في بنائها الفني على مرجعين، أولا المرجع التاريخي ثانيا المرجع التخييلي، فالرواية التاريخية هي انعكاس للأوضاع الإجتماعية والأخلاقية للمجتمعات وهي رسم لفترة زمنية معينة مضت أو تخليدا لشخصيات تاريخية، وتكمن قيمتها في مدى براعة

الراوي في استغـلال الحدث التاريخي واعتماده إطار ينطلق منه لمعالجة قضية من قضايا المجتمع الذي يعيش فيه ويجسد ذلك الراوي الأحداث من خلال شخصيات تاريخية وأخرى متخيلة مـن أجل ربط الماضي بالحاضر بطريقة إبداعيـة فنيـة.

فالرواية التاريخية أو الرواية التي تتناول الذاكرة ليست إعادة لسرد الأحداث التاريخية التي وقعت في الماضي، وإنما كيف نعيش الحدث مرة أخرى وكأننا في ذاك الزمن وهنا يكمن دور السارد في تجسيد الحادثة التاريخية ولكن بطريقة مشوقة

وممتعة ، فالرواية التاريخية عمل سردي الهدف منه العودة للماضي بطريقة تخييلية إبداعية، من خلال الكشف عن الحقائق الجمالية وذلك بوصف الأماكن، والمشاهد النفسية العاطفية للشخصيات، فالروائي يعيد تجسيد الحادثة عن طريق خياله دون الرجوع والاعتماد على الوثائق التاريخية لتلك الفترة أو الواقعة.

وقد مرت الرواية الجزائرية بعدة مراحل تاريخية، حيث اختلف الخطاب الروائي فيها، ففي الخمسينيات انتشر الوعي لدى الكتاب الجزائريين، ونشأت كتابات تهتم بالوطن، ومن أهم الكتاب في ذلك الوقت محمد ديب في ثلاثيته. (الدار الكبيرة، الحريق، النول)، ومولود فرعـون(ابن الفقير).

وفي السبعينيات عرفت الرواية العربية تطورا كبيرا خاصة المكتوبة باللغة العربية ، ومن أشهر كتاب تلك الفترة نجد الروائي عبد الحميد بن هدوقة (ريح الجنوب)، والطاهر وطار(اللاز)، أما في الثمنينات فبرز جيل جديد يكتب الرواية بتقنيات الحداثة، مثله كل من أمين الزاوي (صهيل الجسد)، و وسيني لعرج، أما في التسعينيات من القرن الماضي فقد ظهر الاهتمام بكتابة الرواية التاريخية، كما نجد عند كل من محمد مفلاح، عزالدين جلاوجي (في ثلاثيته الأرض والريح)، و أحلام

مستغانمي (ذاكرة الجسد)[1]، و غيرهم من الروائيين، وخلال هذه السنوات أصبحت الرواية الجزائرية، تتناول القضايـا التاريخية بكثرة، وأصبحت الثورة الجزائرية مصدر إلهام الكتاب فراحوا يكتبون عن تاريخ الجزائر، وأصبح هذا التاريخ مادة خام للسرد الروائي.

وقد أسهمت الرواية التي تتناول الذاكرة الوطنيـة، بشكل كبير في الإطلاع على التاريخ، وفهمه وسبر أغواره و لكن ليس بلغة المؤرخ، ولكن بلغة الإبداع والفن، و التخييل الذي يضفي على الرواية الصبغة الجماليـة والفنية.

و استدعاء الذاكرة في الرواية يثير قضية الانتمـاء والهوية، إضافة إلى أن استدعائها يكون إما لإعادة بعثها وتبيان قيمتها، والإشادة بها، وتمجيدها، وتمجيد أبطالها أو لنقدهـا والوقوف على ما تجاوزته، وذلك لأن الذاكرة الوطنية أو التاريخ قد كتبـه الأقوياء فلـم ينصف الضعفاء الذين لهم الدور الكبير في صنع هذا التاريخ فالروايـة كتبت ما سكت عنه التاريخ.

[1]) ينظر، زهرة برياح، الرواية والذاكرة الوطنية، thakafamag.com

الفصل الأول

طرق استدعاء الذاكرة

في رواية « عناق الأفاعي "

المبحث الأول: الطريقة الواقعية (طريقة الالتزام بالمادة التاريخية):

تنوعت المفاهيم حول كلمة الواقع، وما يقصد به فقد عرفه حسين خمري بأنه " معطى حقيقي، وموضوع حضوري يمكن أن يدرك بالحس وتلمس آثاره بالملاحظة العينية"[1]، فنفهم أن الواقع ما هو حقيقي ومجسد على أرض الواقع، والواقع حسب رأي جورج لوكاش "هو تطور الحياة الشعبية المتفاوت، والملئ بالأزمات "[2] فجورج يرى أن الواقع، هو سيرورة حياة الشعب، وما تعيشه من مشاكل ، وهو أيضا ما نعيشه في حياتنا اليومية بعيدا عن الخيال، حيث " تتوقف عملية نجاح الكاتب التاريخي في ذلك على معرفته التامة بظروف العصر الذي يكتب عنه، حتى يمكنه تمثله فنيا فتبدو أوصافه حينئذ حية فعالة وتحمل الطابع الخاص للحقبة التاريخية التي يريد الكتابة عنها ,على وقف هذا التأسيس تبدو ثقافة الكاتب ، ودراسته للتأريخ شيئا مهما ومهما جدا.

فمن خلال ما سبق، وجب على الروائي التاريخي أو الذي يكتب في رواية الذاكرة، أن يكون ملما بواقع وقضايا العصر الذي يكتب عنه، فكلما توغل وعايش تلك الحقبة فكريا كلما أبدع فنيا.

يرى نجيب محفوظ " أن الرواية التاريخية نوعان، الأول منها تعيدك فيه الرواية التاريخية إلى التاريخ بكل تفاصيله، وطقوسه و كأنها تردك إلى الحياة فيه.أو تبعث الحركة في أوصاله الهامدة، أما النوع الثاني فإنه يستعيد المناخ التاريخي فقط، ثم يترك لنفسه قدرا من الحرية النسبية داخل إطاره « فيقصد نجيب محفوظ، بالنوع الأول توظيف

الذاكرة بطريقة مباشرة واقعية أي الحياة اليومية بكل مجرياتها بعيدا عن الخيال وهو النوع الثاني.

[1]) حسين خمري ، فضاء المتخيل ، مقاربات في الرواية ،منشورات الإختلاف ،ط1، الجزائر ،2002، ص43.
[2]) جورج لوكاش ، الرواية التاريخية ت،ر :(صالح جواد كاظم) بيروت 1987 ، ط 1 ص489.

إن استدعاء الذاكرة، بطريقة واقعية في الرواية التاريخية، يتم من خلال التوازن بين الواقعي، والمتخيل دون التحيز لأحد منهما ، وذلك لتقديم رؤية تخص الماضي وهذا ما نجده في روايات معروف الأرناؤوط ، ومعظم روايات جورجي زيدان، إضافة إلى نجيب محفوظ في رواية راد وبيس ، ويتم ذلك عن طريق الالتزام بالمادة التاريخية، دون إعطاء أهمية كبيرة لجانب التخييل ، فما يهم هو الأحداث والوقائع الماضية، ويتم تجسيدها في مقدمة الرواية أوفي مقدمة أجزائها أو هوامشها وذلك للإشارة للمادة التاريخية في الرواية الكلاسيكية.

يتم توظيف الذاكرة بطريقة واقعية في الرواية "، بكونها تعتمد حكي أحداث وقعت في الماضي "[1] .أي أحداث تاريخية عن طريق " اعتماد المؤشرات التاريخية بكثرة ، وفي أقوال عتاة الرواية التاريخية الكلاسكيين ما يدل على ذلك وهم يبينون علاقتهم بالتاريخ بطريقة مباشرة"[2] أصحاب هذا الاتجاه يشيرون بطريقة مباشرة إلى التزامهم بالمادة التاريخية وأن ورودها في الرواية كان مقصودا.

إن من بين أهداف الذاكرة في الرواية، وتداعياتها أن " الرواية يمكن أن تكون خادمة للتاريخ ، وهو ما نجده عند جورجي زيدان الذي يريد أن يعلم التاريخ بالرواية، ويمكن للرواية أن تستخدم التاريخ وهو ما يجسده نجيب محفوظ في رواياته التاريخية "[3] فالغاية من اعتماد الذاكرة والالتزام بها والتركيز عليها هو التعليم .

ويقول جورج لوكاش " إذا أريد للحقيقة أن تبقى، وجب مزجها بأكاذيب، و الحقيقة المطلقة الصرفة لا تطاق "[4] لأنه إذا أردنا أن نتعلم التاريخ هكذا مجردا من السرد الروائي صعب إستعابه أي فهم الماضي، ومعرفته فاستدعاء الذاكرة بطريقة واقعية دون تحيز الراوي لجانب التخييل هو البحث عن الماضي وإدراكه وفهمه .

[1]) سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، دار الآمان (الرباط) ،ط 1 سنة 2012 ، ص61.
[2]) سعيد يقطين ، المرجع السابق ، ص66.
3) محمد قاضي ،الرواية والتاريخ ، دراسات في التخييل المرجعي ، دار المعرفة للنشر ،تونس 2008 ص80_81.
[4]) جورج لوكاش ، الرواية التاريخية ت،ر :(صالح جواد كاظم) بيروت 1987 ، ط 1 ص430 .

إن التاريخ بالنسبة لوالتر سكوت (Walter Scott) "، يعني بطريقة أولية ومباشرة جدا مصائر الناس واهتمامه الأول هو حياة الناس في مرحلة معينة، فهو يكتب من الناس لا من أجل الناس إنه يكتب من تجاربهم من روحهم "[1]، أي أن الراوي هنا ما يهمه هو ماضي شعب معين في مرحلة معينة لا الحاضر ومن يعيشه .

صحيح أن السرد الروائي لا يخلو من التخييل، فنجد أن سعيد يقطين يقول : أن " الروائي رغم البعد التخييلي الذي يطبع عمله يتوخى ما أمكن تمثيل الواقع ، والتعبير عنه لذلك نجد البعد الواقعي هو ما يسم عمل الروائي بالدرجة الأولى، إنه يخلق واقعا خياليا لكن بمقومات الواقع الحقيقي"[2] فالراوي هنا رغم أنه يزاوج بين الواقع، والمتخيل غير أنه يكون حذرا على أن يهمن الجانب التخييلي على عمله، إنما يكون شديد الحرص على نقل الوقائع والأحداث.

مرت الجزائر بعدة أحداث تاريخية، من الاحتلال الإسباني، إلى التواجد العثماني ثم الإحتلال الفرنسي، فعدت مادة خام ينهل منها الكتاب، ومن بينهم عزالدين جلاوجي وذلك من خلال روايته عناق الأفاعي، التي يصور فيها حقبة زمنية من الحقب التي مر بها التاريخ الجزائري، وما تخللته من ثورات شعبية لمقاومة الاحتلال بكل أطيافه .

وهذه الرواية جاءت ضمن ثلاثية (الأرض والريح)، والتي شملت ثلاث راويات ، أولها (حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر)، ثم (الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال)، وآخرها (عناق الأفاعي)، والتي عاد بنا فيها الروائي إلى الفترة الزمنية قبل الجزء الأول, أي أن أحداث الرواية تعود إلى ما قبل الثورة، وفترات المقاومة، وتشكيل الوعي الثوري أي منذ دخول فرنسا إلى الجزائر.

الأحداث التاريخية الواقعية داخل الرواية:

[1]) جورج لوكاش، المرجع نفسه، ص417.
[2]) سعيد يقطين، المرجع السابق، ص40.

1- الاحتلال الإسباني، وخيانة اليهود:

من بين الأحداث التاريخية، التي تطرقت إليها الرواية، احتلال مدينة وهران من طرف الإسبان، بمساعدة الخائن اليهودي (ستورا)، الذي كان يقطن بمدينة وهران من خلال التسهيلات التي قدمها للإسبان، فقدمت عائلات اسبانية للاستيطان فيها، وذلك بعدما فر منها أكثر من عشرة آلاف، وقتل أكثر من خمسة آلاف جزائري، وحولت المساجد إلى كنائس، وتم نهب الأموال، والنفائس[1]. (فستورا) كان من بين اليهود الذين أعطتهم الدولة الزيانية مناصب عليا، وكان هذا نتاج التسامح الديني، الذي استقته الدولة الزيانية من القيم الإسلامية[2]، ولكنه خان الأرض التي أطعمته، وأعطته كل هذه المنزلة، وتنعم بخيراتها، حيث مكن مع بعض الخونة من أمثاله، الإسبان من غزو المرسى الكبير، فقاموا بفتح أبواب المدينة غدرا، وخيانة فاقتحم الإسبان مدينة وهران ، وراح ضحيتها الكثير من الأبرياء، حتى قيل احمرت مياه البحر الأبيض المتوسط . فطعن اليهود ظهر الجزائر التي لا طالما فتحت ذراعيها لهم .

إن حديث عز الدين جلاوجي عن احتلال الإسبان لسواحل وهران، يبرز لنا مدى اهتمام الروائي بتسجيل الذاكرة الوطنية، و تخليد الأحداث الكبرى في تاريخ الجزائر، حتى قبل الاحتلال الفرنسي، كما ركز الروائي على موضوع خيانة اليهود للشعب الجزائري منذ القدم، و لعل استدعاء هذه الأحداث من الروائي يهدف إلى التنبيه والتحذير من اليهود في وقتنا الحاضر، ولكي لا يعيد التاريخ نفسه، ونقع في نفس الخطأ الماضي فلـم يستحضر الروائي هذه الوقائع لمعرفتنا إياها فقط، وإنما لنأخذ العبرة منـها وكأن الروائي بهذا الصنيع يوظف أحداث التاريخ لانتقاد الواقع، فما أشبه اليوم بالأمس كما يقال.

2- مذبحة جامع كتشـاوة:

[1]) ينظر الرواية، ص272.
[2]) ينظر كدير مراد، اليهود والجزائر ..كرونولوجية الخيانة // https www.noonpost.

إن رواية عناق الأفاعي جاءت لتكشف، وترفع الستار عن جرائم المستعمر الفرنسي، وسياسته التي قامت على ضرب كل مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، ومن بين الوقائع، والأحداث، والجرائم التي شهدتها الجزائر منذ بداية الحملة الفرنسية على الجزائر، من ذلك تحويل جامع كتشاوة إلى كنيسة, حيث يسرد لنا الراوي مجزرة جامع كتشاوة بكل تفاصيلها، حيث أراد المحتل الفرنسي الاستيلاء على أكبر جامع في الجزائر العاصمة وتحويله إلى كنيسة، فقام سكان العاصمة بالاعتصام بالمسجد، حتى يمنعوا الفرنسيين من تدنيسه، إلا أن الفرنسيين لم يرعوا حرمة بيت الله فاقتحموا المسجد وارتكبوا مجزرة فضيعة في حق المعتصمين وسقط حوالي أربعة آلاف من المصلين في ذلك اليوم[1] .

يتضح جليا من خلال هذه الممارسات الوحشية، أن هم المستدمر الفرنسي، هو طمس كل معالم الهوية الجزائرية، بدءا من الجانب الديني بالقضاء على المساجد، وتحويلها إلى كنائس، وذلك لضرب عصفورين بحجر أولها القضاء على الدين الإسلامي، وثانيها حملة التنصير الشرسة، وقد شهد تحويل جامع كتشاوة – كما ذكرنا سابقا – مجزرة كبيرة راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء.

3-مقاومة الأمير عبد القادر:

إن المقاومات الجزائرية للمحتل كانت في كل ربوع الوطن، حيث لم تنحصر في منطقة معينة فقط، وإنما شملت كل الأراضي الجزائرية، وهذا ما توضحه الرواية حيث تناولت معظم المقاومات الشعبية، من بينها مقاومة (الأمير عبد القادر الجزائري) التـي دامت أكثر من خمسة عشر سنة، وقد تمت مبايعته حول شجرة الدردارة في مدينة معسكر رجالا، ونساء، وهذا كما جاء في قول السارد " أسرع الشيخ محيي الدين ينزع عنه برنسه، ويلبسه ابنه عبد القادر، ثم يعانقه مبايعا، واندفع كل من كان حوله يعانقه، ورفع المئات أذرعهم إلى الأعلى فرسانا،

[1]) ينظر الرواية ص145-146.

وراجلين صارخين بصوت واحد، نبايعك على السمع، والطاعة، في السراء، والضراء في الرخاء، والبلاء"[1].

ومن خلال هذا يتضح أن الكل كان راضيا على (الأمير عبد القادر)، ومحبا له، وذلك لأخلاقه، وحلمه، وشجاعته، وكل هذه الصفات جعلته قائدا فذا، وجعلت المستدمر يحسب له

ألف حساب، وكان بمثابة الصخرة التي تحطمت عليها الكثير من الأطماع الفرنسية، حيث استطاع أن يقف في وجه تمدد الاحتلال في الغرب الجزائري، وتمكن من تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، والتي اعترف بها العدو واعترف بمدى قوتها وتنظيمها على لسان (الدوق دومال) حيث يقول : " يا للذكاء الخارق لن يخطر على بال أحد ، ولا على بال الشيطان " [2] فقد استطاع الأمير أن يضع لدولته الفتية كل ما يلزم من التنظيم والتخطيط الإداري فوضع راية موحدة، وسك عملة للدولة، و أسس مجلس شورى، إضافة إلى تعيين ولاة له في مختلف المناطق، وهي أمور لم تكن معروفة في ذلك الوقت.

وقد خاض (الأمير عبد القادر) عدة مواجهات بينه وبين المحتل الفرنسي وفرض سيطرته على الكثير من المناطق في الغرب الجزائري وحقق انتصارات كثيرة على الجيوش الفرنسية، خاصة في بداية المقاومة إلا أن ذلك لم يستمر، فقد أرهقته الخيانات، وانتهى به الأمر إلى الاستسلام.

4- مقاومة أحمد بـاي :

قاوم الجزائريون الاستعمار الفرنسي منذ وطئت أقدامه بلادنا، ومن هذه المقاومات الشعبية، مقاومة أحمد باي في قسنطينة بالشرق الجزائري، الذي سعى إلى مواجهة المحتل بكل ما أوتي من قوة، محاولا المحافظة على زمام الأمور، ويتجلى ذلك في تحديد الميدان وموعد المواجهة،

[1]) الرواية ، ص261.
[2]) الرواية، ص431.

ونوع السلاح. ورغم كل التضحيات في الدفاع عن المدينة وحمايتها إلا أن قسنيطنة سقطت في يد المستعمر الفرنسي، ولكن بعد مقاومة شرسة وعنيفة.

و لكنه لم يستسلم للفرنسيين، بل توجه إلى الصحراء عند أخواله، وإلى جبال الأوراس يبث في الجميع روح المقاومة، والسعي إلى الجهاد، والتصدي للعدو الغاشم [1] يتضح لنا بأن (أحمد باي) سعى بكل بقوة لمواجهة المستدمر الفرنسي بأي طريقة كانت، ورغم سقوط مدينة قسنطينة في قبضة المحتل، إلا أن هذا لم يثن من عزيمته فرحل إلى الصحراء التي ترعرع، وكبر فيها ليشحذ الهمم، فمن خلال هذا يبين لنا السارد أن أحمد باي ومن ورائه كل الشعب الجزائري كان يدافع عن وطنه بشتى الطرق، ولم يخضع للمحتل الغاصب .

نستنتج أن من خلال هذه الأحداث التاريخية، والواقعية التي ذكرها الروائي والمتمثلة في الإحتلال الإسباني، وخيانة اليهود، مذبحة كتشاوة، مقاومة الأميرعبد القادر، وأخيرا مقاومة أحمد باي هي التي أضفت المسحة التاريخية على أحداث الرواية، أو هي التي جعلت الرواية ذات صبغة تاريخية .

[1]) ينظر الرواية، ص516.

المبحث الثاني: الطريقة المتخيلة (طريقة تغليب المتخيل على الواقع)

لقد اختلف الروائيون في استدعاء الذاكرة الوطنية، فمنهم من استدعاها بطريقة واقعية فالتزم بالمادة التاريخية، كما أسلفنا الذكر ومنهم من استدعاها بطريقة متخيلة، وهو ما سنتطرق إليه في هذا المبحث.

يعد التخييل في الرواية ركيزة أساسية في بناء العمل الإبداعي، لأن الرواية لسيت نقلا تاريخيا للأحداث، ولكنها عمل تخييلي، و نقصد باستدعاء الذاكرة بطريقة متخيلة في السرد الروائي، هو أن يكون المتخيل غالبا على الواقعي، وبذلك يبرز الإبداع الفني، ويتقلص حضور المادة التاريخية في الرواية، لصالح المادة المتخيلة، وهنا يتجسد إبداع الروائي، وتتبلور قدرته الفنية.

ونجد هذا النوع عند نجيب محفوظ في الثلاثية، وجمال الغيطاني في (الزيني بركات) واوسيني الأعرج، في رواية (كتاب الأمير) والطاهر وطار، في(اللاز) وغيرها من الأعمال الروائية العربية والجزائرية. فهؤلاء الكتاب قاموا بإحياء التاريخ، واستلهام أحداثه.

إن هؤلاء الروائيون لم تكن رؤيتهم تخص الماضي، حينما أخذوا المادة التاريخية، وقاموا بصبها في رواياتهم، إنما كانت نظرته متجهة إلى الحاضر، " فالحاضر ينفتح على الماضي، ويستحضر وقائعـه، ويطل على المستقبل، ويستشرف ما سيحدث فيه "[1]، فالروائي يكتب في الزمن الحاضر، غير أنه يرجع للزمن الماضـي ويستعيد أحداثه، ووقائعه . " إن الرواي لا يقوم بإعادة رواية أحداث التاريـخ، فيحدد دوره بوصفه وسيلة توصيل، إنما يعمد إلى التشكيك بالتاريخ ذاته، ويعيد تركيب بعض الوقائـع متحديا الأطر الزمانية العامة "[2] ، نفهم من هذا أن

[1])عبد الله إبراهيم ، المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة) ، دار النشر المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،ط1990 ،ص39.
[2]) عبد الله إبراهيم ، المرجع السابق ،ص 38.

الراوي إذا أعاد أحداث التاريخ يصبح مؤرخا لا روائيا إنما يشكك في هذا التاريخ، وفي من كتبه وربما قد يعيد كتابة التاريخ انطلاقا من رؤيته الخاصة .

يرى حسن سالم هندي إسماعيل أن استدعاء الذاكرة تطور عبر الزمن، حتى وصل لهذه لمرحلة فيقول قاصدا الرواية التاريخية، " يوم تحررت من سطوة الخبر التاريخي، و موضوعيته في بنائها للحدث, وذلك عندما اتخذت من الواقعة التاريخية إطارا عاما لأحداثها، تاركة المجال لجانب الخلق الفني، والإبداعي " [1] أي من استقصاء الحقائق وتتبعها إلى الفن، والإبداع، وتقديم المادة التاريخية برؤية خاصة.

مما لاشك فيه أن الأحداث في الرواية لا تحمل الصدق، ولا الكذب وذلك لارتباطها بالخيال، بالرغم من أنها مستقاة من التاريخ، وإن تصادفت مع الواقع لا تعد تاريخا .

فهذه الرواية كما ذكرنا سابقا، "تنهض على أساس المادة التاريخية، لكنها تقدم وفق قواعد الخطاب الروائي القائم على البعد التخييلي، مهما كان واقعيا أو حقيقيا، وهذا التخييل هو الذي يجعلها مختلفة عن الخطاب التاريخي "[2] ، فالبعد التخييلي هو الذي يسموا بالرواية إلى عالم الإبداع، والتميز وهذا لكونها عملا سرديا الهدف منه إعادة بناء حقبة تاريخية ماضية، بطريقة تخييلية حيث تجمع بين شخصيات من التاريخ، وشخصيات من الخيال فهنا نجد حضورا للمادة التاريخية غير أنها مقدمة بطريقة إبداعية تخييلية [3]، إذن هناك تزاوج بين الواقعي، والمتخيل من حيث الشخصيات، بالإضافة إلى الوقائع والأحداث التي ينسج من خلالها الروائي عمله السردي .

---

[1]) حسن سالم هندي إسماعيل ، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث (دراسة في البنية السردية) دار حامد للنشر والتوزيع ، الأردن ط1،2014 ،ص258.

[2]) سعيد يقطين ،المرجع السابق ،ص60.

[3]) ينظر ،المرجع نفسه ، ص 60.

وعلاوة على ذلك، نجد أن الروائي أو الكاتب في فن الرواية، الذي يتخذ الطريقة التخييلية سبيلا لعمله الإبداعي، لا يعطي أهمية كبيرة للمصادر التى استمد، واستقى منها المادة التاريخية، لذلك نجد رضوى عاشور في ختام ثلاثية غرناطة تقول " لن أثقل على

القارئ بثبت كل ما استفدت به من المصادر، والمراجع مادام موضوع الكتابة إنشائيا "[1]

فهنا يتبين أن الروائي، لا يعطي أهمية للأحداث الماضية التاريخية, في حين أنه يعطي أهمية بالغة، وكبيرة للجانب التخييلي الذي يجعل الرواية في حلة مميزة ورائعة.

لابد أن هناك أهدافا، وغايات ينشدها الروائي من استحضاره للذاكرة في الرواية، حيث نجد أن " اعتماد الأحداث الماضية يسمح باستخلاص الدروس، التي يمكن تطبيقهاعلى الحاضر"[2]. إن ورود التاريخ في الرواية، لأخذ العبر، والقيم، وتطبيقها في الزمن الحاضر، حيث يقول محمد القاضي :" ليس همنا الحكم على الرواية، ومدى وفائها للتاريخ، وإنما ما سبب استحضاره في النص، حيث يعد التاريخ بمثابة الديكورللأحداث المتخيلة، والغاية من الرواية هي كتابة ما أهمله التاريخ"[3] ومن هنا تكتسي الرواية طابع التخييل، و تنقلنا إلى عالم التفاصيل والجزئيات الدقيقة، التي غفل عنها المؤرخ إلى الحياة الشخصية بكل تجلياتها، وبكل صورها .

يرى محمد القاضي " أن التاريخ يصبح مرآة نرى من خلالها الحاضر"[4] فاستدعاء التاريخ وسيلة لفهم الحاضر، وفهم الذات .

إن الروائي يقوم بتحويل المادة التاريخية، إلى مادة تخييلية بطريقة إبداعية جمالية، فيذوب التاريخ في التخييل، وينتج لنا نص سردي في قالب فني، إبداعي جمالي .

يتم نجاح استدعاء الذاكرة، من خلال تحويل المادة التاريخية إلى مادة تخييلية, و ذلك عن طريق إحداث التغيير في الخصائص المميزة للسرد التاريخي، كما فعل جلاوجي في هذه

[1]) محمد القاضي ،المرجع السابق ،ص 32_33.
[2]) محمد القاضي ، المرجع نفسه ، ص 61.
[3]) ينظر محمد القاضي ، المرجع نفسه ، ص 58.
[4]) محمد القاضي ، المرجع نفسه ، ص 82.

الرواية، فقد نجح في تحويل الذاكرة إلى فن روائي إبداعي، عن طريق إطلاق العنان لمخيلته فأصبحت مادة دسمة تثير تشويق القراء، الذين يجدون سهولة في فهم الحاضر، عن طريق نقد الواقع، وتجاوزه من خلال الرواية .

إن السرد الروائي للذاكرة يؤدي بنا إلى وظيفة جمالية إبداعية، وهذا ما يجعل النص السردي الروائي، يحقق أبعاد فنية دلالية, فجلاوجي بخياله يرسم لنا أحداث تاريخية بشكل فني، يتتبع الأحداث من البداية إلى النهاية، متجاوزا الواقع من خلال التخييل، فقد جسد، وصور لنا الوقائع المكتوبة على الورق بشكل إبداعي خيالي رائع عن طريق تخيل شخصيات، وأحداث، وأماكن لا وجود لها على أرض الواقع, فهو لا يتعامل مع الواقع مباشرة، وإنما مع ما يمثله .

وبما أن الرواية مزجت بين ما هو تاريخي، وما هو متخيل أو أصح قولا استحضرت التاريخي، في قالب فني خيالي، فإنها نوعت في صيغ الأفعال ولم تنحصر على صيغة الماضي فقط، وإنما تخللتها صيغ الماضي، والمضارع معا ومثال ذلك "خرج أبو حمزة القرطبي ، وشامخة كإعصار من الغضب ,عاد (الداي حسين) إلى كرسيه , شبك أصابعه وتاه عما حوله , جلس شيخ الإسلام قريبا منه"[1] هنا نجد أن الأفعال جاءت في صيغة الماضي فقد وقع الفعل ومضى فنجد خرج, عاد , شبك , تاه كلها أفعال ماضية كذلك نجد قول السارد : " على سطح السفينة جلس الثلاثة ، وانضم إليهم بعض العسكريين ,كان فيليب أميل إلى الصمت ,وكان كوهين أكثر ثرثرة انضباطا، وصرامة ,وزعت المشروبات والحلويات ,ظل كوهين " [2] فكذلك هذه الأفعال ماضية جلس ,انضم ,وزعت ,ظل .أما فيما يخص صيغة المضارع فنذكر ما يلي " وصمتت نانا وهي تجلس على حافة السرير، تضع رأس شامخة على فخذها وتطوقه بذراعيها في حنان، وظلت شامخة تبكي بحرقة، وفي أعماقها كانت تمر مشاعر متصارعة متضاربة"[3] فقد جاء في المثال السابق أن أغلب الأفعال وردت في صيغة المضارع

1) الرواية، ص132.
[2]) الرواية، ص 93 .
[3]) الرواية ، ص157.

، ومن بينها فعل تجلس – تضع– تطوق – تبكي – تحفظ – تحكي – يذبح وهذا لأننا بصدد السـرد الروائي لا السرد التاريخـي الذي يقتضي هيمنة صيغة الفعل الماضي .

الأحداث المتخيلــة في الروايــة :

احتوت رواية "عناق الأفاعي " على مجموعة من الأحداث المتخيلة، فقد استحضرت الذاكرة الوطنية المهمشة بطريقة تخييلية، إبداعية، ومن بين هذه الأحداث مايلي :

1 – قصة الرخــامة:

وقد استدعاها جلاوجي من خلال شخصية حوبة وهي تسرد لنا **قصة الرخامة** التي عثرت عليها، وهي مجرد خيال، وهذا يذكرنا بشهرزاد وهي تحكي لشهريار في حكايات ألف ليلة وليلة، ومنها انطلق سرد الرواية، فقد وجدتها حوبة في رحلة البحث عن مفاتيح تعود بها إلى تلك الفترة من الزمن التي لا طالما تعود خائبة دون أن تجد ضالتها فبينما، وهي تبحث كعادتها إذ بها تجد هذه الرخامة داخل زاوية قديمة تهدمت أسقفها، وغطى التراب أرضيتها، محاطة بأشجار التين والزيتون، و كم كانت سعادتها كبيرة حين وجدتها،[1] إن هذه الرخامة مجرد إبداع، وخلق من طرف الراوي ، وقد احتوت الرخامة على الكلمـات التالية "زاوية سيدي علي بن شامخ المكحالجي بن علي القلعي بن الحسين بن علي، رضي الله عنهم وأرضاهم"،[2] إن هذا يحمل في طياته عدة رموزوهي رموز دينية ، و علمية أي أن للجزائر مرجعية دينية .

فهنا يتضح جليا إثبات الهوية الدينية ، لتاريخ الجزائر، وذلك للإشارة أن علي بن شامخ القلعي ، هو امتداد لسلالة سيدنـا علي رضي الله عنه، إضافة إلى الجانب العلمي صحيح، أن علي بن شامخ القلعــي لم يسلك مسلك أبيه بحمل السلاح غير أنه حمل سلاحا من

[1]) ينظر الرواية ، ص8.
[2] الرواية ، ص 10.

نوع آخر، وهو سلاح العلم فقد عمل واهتم بتدريس القرآن فكان له زاوية باسمه فالهوية الجزئرية ذات مرجعية ، دينية، علمية ،وهذه الثنائية هي مصدر القوة الجزائرية.

2 -حادثة العثور على المخطـوط :

جاء في مقدمة الرواية إلى أن السارد تسلم طردا من حبيبته حوبة، وقد غمرته الفرحة، والسعادة حينما وجد بداخله مخطوطا تآكلت جوانب أوراقه الصفراء، غير أن غلافه لم يحدث له شئ لأنه جلدي سميك، علقت به بعض الأتربة فقال : عجلت أفتح الرسالة التي كانت من حوبة التي غابت أكثر من سنة، وكلي سعادة وفرح وجلست أقرأ الرسالة وما جاء فيها، فقد روت حوبة حكايتها وهي تبحث، ولحظة حصولها على الرخامة، والمخطوط وكم كانت سعادتها كبيرة حينها.[1]

فهنا نلاحظ محاولة ربط الحاضر بالماضي، فالمخطوط يرمز للذاكرة، خاصة في قوله أوراقه الصفراء متآكلة الجوانب، فهذا يدل على القدم إضافة إلى قوله غابت عنا منذ سنة فكل هذه مؤشرات تعود بنا للماضي، والبحث عن الهوية، فلا حاضر ولا مستقبل بدون ذاكرة، وبدون ماض هذا الماضي الذي أنسانا أياه الحاضر، فهي دعوة للبحث عن الذات فمن خلال المخطوط، نحاول نبش التاريخ، والذاكرة فقد كانت فرحة السارد كبيرة، حين استلام المخطوط، فقد أطفأ هاتفه وهو دلالة على صحوة الذات والضمير، والشعور بالضياع من غير ذاكرة يرجع إليها .

3-الأمير عبد القادر الإنسان:

بالإضافة إلى ما ذكره جلاوجي عن الأمير من الأحداث التاريخية التي ارتبطت بمقاومته للاحتلال الفرنسي، فإنه حدثنا أيضا عن جانب آخر من جوانب شخصية الأمير، وهي (شخصية الأمير الإنسان)، حيث يحدثنا عن تفاصيل الأمير عبد القادر الإنسان رمز المودة والرحمة، البار بأمه لالة الزهراء من ذلك أنه كان يحرص على معاملتها بلطف فيغسل رجليها،

[1]) ينظر الرواية، ص7.

يحدثنا أيضا عما اتصف به من خلق التواضع ، العطف على أفراد عائلته، حتى أن أخته " طلبت منه أن يغسل قدميها هي وزوجته وهي تضحك، فاحتضنها وقال ما أكرمكن إلا كريم، وما أهانكن إلا لئيم " [1] فالأمير رغم شجاعته وقوته إلا أنه حنون أمام أمه وعائلته، ونجد كذلك عبد القادر الإنسان المحب لزوجته لالة خيرة، وهو يداعبها متغزلا في هذه

الأبيات الشعرية :

" أقاسي الحب من قاسي الفؤاد وأرعاه ولا يرعـى ودادي

وتهجرني بلا ذنب تراه ظامي قد رأت دون العباد

وأشكوها البعاد وليس تصغي إلى الشكوى وتمكث في ازدياد "[2]

من خلال ما سبق يبين لنا عزالدين جلاوجي، شخصية الأمير عبد القادر الإنسان العادي، المتواضع، العطوف، والحنون بعيدا عن الحروب، والسـلاح الذي يحزن، ويفرح، ويحـب ، ويحس كباقـي البشر، وهنا ليبين لنا الحياة الشخصية بكل تفاصيلـها، وتجلياتـها التي عاشها الأمير كما هو الحال لباقي الشخصيات، وهذا ما غيبه التاريخ والمؤرخ، ولكن الروائي، والرواية اهتمـت به، وحرصت عليه إضافة إلى الاحتفاء بالشخصيات البسيطـة المهمشـة مثل شخصية كث اللحية، و محمود الحوات، وغيرهم فهي شخصيـات تقول مالا يقوله التاريـخ فحتى الحيوانات – الأدهم فرس شامخة – والجماد كل شارك في الثورة، فالتاريخ لم تصنعه الشخصيات الكبرى فقط، وإنما هذا التاريخ صنعه كل الجزائريين.

4-الصورة المثالية للمرأة :

[1]) الرواية ، ص 322.
[2]) الرواية ، ص 415.

تمثل دور المرأة الجزائرية في الرواية من خلال شخصية شامخة وهي تقاوم العدو فكانت تحرض القبائل، والعشائر وتقوم بأعمال خارقة وغير طبيعية حيث تضع نفسها في مواقف خطيرة، ويحدق بها الموت من كل جهة، ولكنها كانت دائما تنجو بأعجوبة، مما أثارت حيرة الناس من حولها بسبب بطولاتها وأعمالها الخطيرة " أليست هذه الفتاة مثار حيرة ؟ كأنما انتهى الرجال من هذا الوطن .

شدد الشيخ يديه على مقبض عصاه وهو يركزها على الأرض، وقال :

الرجولة ولدي ليست جنسا، لكنها سلوك، ومواقف."[1]

فهي شخصية متخيلة ترمز للإمتلاء بالوعي لدى المرأة الجزائرية، وروح المسؤولية إن المتتبع لشخصية شامخة في كل أحداث الرواية، يجد أنها مصدرا لشحذ الهمم والتحرر والدعوة الى تقرير المصير، وهي تنتقل بين أراضي الوطن تحاول تأليف القلوب وتجميعها في صف واحد، وهو ما سعى إليه جلاوجي من خلال الرواية مبرزة دور المرأة الجزائرية في المقاومة والجهاد والدفاع عن الوطن، حتى في موتها كان موتا غير عادي حيث صعدت روحها نجمة تتلألأ في السماء.

5-حادثة الورقــة:

من الوقائع والأحداث المتخيلة التي وردت في الرواية، حادثة الورقة التي وجدت مثبتة في عمود الخيمة بواسطة خنجر، والتي سلمها (محمود الحوات)، وهو شخصية متخيلة إلى (الأمير عبد القادر) وقد كتب فيها، " لا مفر لكم منا، قتلنا شامخة، والدور عليك يا عبد القادر"[2] أصيب الأمير بالدهشة والحيرة عندما قرأها، ولكن لم يكن ما كتب في الورقة ما يشغل باله وإنما من ثبت الورقة على العمود، لأن ذلك إن دل على شئ فإنه يدل على أن هناك خونة وجواسيس داخل القبيلة، وأن هناك عينا تراقب تحركاته

[1]) الرواية ، ص 216.
[2]) الرواية، ص312.

وتنقل كل كبيرة وصغيرة للمحتل الفرنسي، حيث يرى(الأمير عبد القادر) أن العدو الأكبر هم الخونة والجواسيس والقضاء عليهم هو القضاء على العدو.

إن قصة الورقة التي وجدت أراد الراوي من خلالها، أن ينبهنا إلى العدو الأكبر والذي يعد من أسباب القضاء على ثورة (الأمير عبد القادر) وانتصار المستعمر عليه ولا نقول على (الأمير عبد القادر) فقط وإنما على كل الثورات في العالم، وهذا العدو هو الخيانة والخونة، فعز الدين جلاوجي يشير هنا أن الخونة كانوا من اليهود المقيمين في الجزائر منذ قرون، والذين لهم الدور الكبير في احتلال الجزائر، إضافة إلى بعض الخونة العملاء للاستعمار، والذين يفضلون مصلحتهم الخاصة على الأرض والوطن ,فهذين الاثنين شكلا عبئا على الأمير عبد القادر، لأنه ليس من السهل اكتشافهم فهم من عامة الشعب، وقد سعى الأمير جاهدا لمحاربتهم بكل وسعه وقوته .

وخلاصة ماسبق نستنتج أن هذه الأحداث المتخيلة التي ذكرت سابقا هي التي أعطت اللمسة الإبداعية والفنية للرواية .

الفصل الثانـــــي

علاقــة الذاكــرة بمكونــات الســـرد

في روايـــــة "عنـــــاق الأفاعـــــــي"

المبحث الأول: علاقة الذاكرة بالشخصية الروائية

لا يمكن أن نتصور عملا سرديا دون شخصيات، لأنها تقوم بأدوار فاعلة من أجل ربط الأحداث ببعضها البعض، فكل منها يكمل الآخر ولذلك فالشخصية لها دور هام وأساسي في بناء الرواية، إذ أنها مركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حولها الأحـداث، من خلال تحركاتها والعلاقات بينهما، وقد عرفها العديد من الأدباء والروائيين من بينهم تعريف سعيد يقطين يعرف الشخصية "على أنها تجسيد للأنماط ووعي اجتماعي وثقافي تعيش قلقها مع العالم، ومع ذاتها حيث تلعب علاقات الشخصيات داخل العمل الروائي تأتي من خاصيتي الثبات والتحول اللذان يميزان وجود الشخصية داخل العمل الروائي " [1] ويقصد سعيد يقطين بالشخصية أنها تجسيد الواقع بكل تجلياته آماله، وأحلامه تقوم على خاصيتين تتمثلان في الثبات والتحول .

أما حسن البحراوي فعرف الشخصية قائلا : " إن الشخصية الروائية ليست هي المؤلف الواقعي، وذلك لسبب بسيط هو أن الشخصية محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محددة يسعى إليها " [2]فحسن البحراوي فرق بين الشخصية التخييلية وبين المؤلف الحقيقـي .

من خلال العرض السابق لتعريفات الشخصية، نستخلص بأن الشخصية كائن ورقي حيوي يقوم بدور هام، وعظيم في تفعيل العمل الروائي ولها وزنها الخاص داخل الرواية، ولاحظنا بأن الرواية مازجت بين الشخصية التاريخية، والمتخيلة ومن هنا وجب علينا تعريف الشخصية التاريخية .

[1]) سعيد يقطين انفتاح النص الروائي المركز الثقافي العربي بيروت ط1 ،1989.
[2]) أحمد رحيم كريم الخفاجي ، المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث ، دار الصفاء ط2، 01/01/2012، ص 81.

1- الشخصيات التاريخية في رواية "عناق الأفاعي ".

أما عن الشخصية التاريخية المفعلة فقد ورد تعريفها في كتاب الرواية، والتاريخ لنضال الشمالي : " تعد الشخصية التاريخية المفعلة في الحدث من المعضلات التي ترهق الروائي بل وتأسره، ضمن قانون التاريخي الخاص، وتوظيف الشخصية التاريخية في العمل الروائي يحتاج إلى دراية كاملة بالأحداث التي اشتركت فيها الشخصية، وتلك التي لم تشترك فيها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ماهي اللغة التي سوف تتحدث بها هذه الشخصية، هل كفلت لنا المراجع التاريخية نماذج خاصة، تمنحنا قدرة على توظيف لغة هذه الشخصية . إن قدرة الروائي على التخيل، وربط الأحداث، واستنتاجها كفيلة بأن تقدم

للروائي تصورا جيدا عنها حتى يعمد إلى توظيفها في الرواية،"[1] بطريقة فنية تستحضر الشخصيات التاريخية صورتها في التاريخ، ودورها في صناعة أحداثة .

"الشخصيات التاريخية هي التي كان لها دور مهم في الأحداث التاريخية، في فتره من الفترات التاريخية لأمة من الأمم، ولها أبعاد وملامح تاريخية"[2] يتضح لنا في رواية "عناق الأفاعي" استدعاءا بارزا وكبيرا للشخصيات التاريخية كون الرواية التاريخية وهذا مايتماشى، وطبيعة موضوع الرواية إذ تتناول مقاومة (الأمير عبد القادر)، ومقاومات الشعبية الأخرى رغم أن هناك شخصيات خيالية، قامت بأدوار تاريخية إلا أن الرواية لا تخلو من الشخصيات التاريخية، وهذا ما جعل العمل الروائي، واقعي فمن الشخصيات التاريخية نجد.

1- الشيخ محي الدين :

"شيخ البلد : في الجزائر كان يوجد شيخ البلد الذي كان مكلفا بالأعمال الشرفة بالإشراف على الطوائف الحرفية، وتلك المتعلقة بإصلاحات البيوت، ونظافة وصيانة المباني، وهي صلاحيات

[1]) النضال الشمالي : الرواية والتاريخ، مكتبة النور ، ط1، ص 227.
[2]) بحث ينظر مصطفى محمد مصطفى كامل موسوعة المسرح العربي ص375 .

حضارية هامة، يؤكدها وجود مكاتب شيخ البلد في قلب المدينة "[1].

"ولد سنة تسعين ومائة وألف الموافق لعام 1776 ميلادي في قرية الضفة اليسرى لوادي الحمام غربي مدينة معسكر، وهذه المنطقة كانت مقصد العلماء، والمرابطين، والشخصيات المعروفة في المنطقة اشتهرت أسرة(محي الدين) بالكرم، والتقوى، والعلم في قبيلة بني هاشم كان يسودها طابع ديني، واجتماعي نشأ محي الدين وترعرع في أحضان والده تثقف من أهل الثقافة، والأدب، والعلوم الإسلامية، وقبل أن يدق ناقوس الخطر كان محي الدين رئيس الأسرة، ومتزوج بأربع نساء هن زوبيدة، والزهراء، والدة الأمير عبد القادر، وفاطمة، وخيره " [2] وقد كان تقيا، ومجاهد ا تظهر شخصيته داخل الرواية أنه إنسان زاهد متدين، وهو والد الأمير(عبد القادر) ويظهر ذلك في قول السارد

"انظم آخر كان يتابع الحديث عن قرب قائلا لكن الشيخ (محي الدين) قائلا الملك لأنه زاهدا في الدنيا " [3] أما التدين فيكمن في قول السارد :"عند الفجر تناهى إليها ترتيل الشيخ محي الدين، وهو يصلي بالرجال داخل الخيمة تألم به بعض النسوة من داخلها فهرعت تتوضأ، وتقيم "[4] وهو شيخ من أكبر شيوخ عصره كانت له كلمه آنذاك، وهو شخصية تاريخية حقيقة ذكرها السارد ثلاثة وثلاثون مرة داخل الروايـة.

2-الأمير عبد القـادر:

جاء في قاموس معاني الأسماء الأمير اسمه مذكر عربي، وهو حاكم دون الملك أو هو ابن الملك، والفرس يقصدون به أمير المؤمنين عليا "هو الأمير عبد القادر ابن محي الدين المعروف بعبد القادر الجزائري، ولد في قرية القيطنة قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري، يوم الثلاثاء ستة سبتمبر 1808 الموافق ل 15 رجب 1223 هجري، هو قائد سياسي، وعسكري، ومجاهد عرف بمحاربته للإحلال الفرنسي للجزائر، وقاد مقاومة الشعبية لخمسة عشرة عاما أثناء بدايات

[1]) حمدان خوجة ،المرأة، تر، تق، تح،(محمد العربي الزبيري) الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 ،1982 ، ص 105.
[2]) الدكتور يحي بوعزيز (2004) موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، ط1 الجزائر ص 147.
[3]) الرواية ص 241.
[4])الرواية ص242.

غزو فرنسا للجزائر يعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار، والاضطهاد الفرنسي ،نفي إلى دمشق حيث تفرغ للتصوف، والكتابة، والشعر، وتوفي فيها يوم ستة وعشرون مايو 1883"[1] .

لم يبق جهاد (الأمير عبد القادر) حكرا بالسلاح فقط، وإنما انتقل إلى جهاد آخر، وهو الجهاد بالكلمة، والقلم "ليس من السهل تلخيص حياة رجل عظيم قاد حركة الجهاد، والمقاومة المسلحة سبعة عشرة سنة كاملة، وبقي بقية حياته كلها جهاد آخر بالقلم، وملأت أعماله البطولية أسماع الدنيا كلها في القرن الماضي، والقرن الحالي، وما يزال حتى اليوم محل بحث، ودراسة، وتمحيص، وتحقيق لأعماله، وجهاده"[2] .

و تظهر شخصيته داخل الرواية أنه فارس مغوار، وقائد آخذ بتعاليم ديننا الحنيف، ويظهر ذلك في قول السارد:" قضى (الأمير عبد القادر) ليله، وهو قائم يصلي، وهي عادة دأب عليها مذ كانا فتى يلازم أباه، وأصبح في خيمته حيث يجب أن يعتكف مع نفسه ، مطالعا ذاكرا، متأملا، وأخذته سنة من النوم فغفى ملفوفا في برنسه الأبيض، والأسود "[3] .

أما عن فروسيته فتكمن في قول السارد: " ألجم الأمير عبد القادر جواده، وتوقف عن سيره، وأشار إلى فرسانه الذين كانوا خلفه يسيرون جماعات متباعدة ثم راح يلوح بيده يعطي إشارات الانتشار وكانت الجماعات تتحرك بمجرد أن تصلها الرسالة المشفرة " [4]

ويتضح لنا أن شخصية الأمير عبد القادر، شخصية حقيقة ساعدت كثيرا في أحداث الرواية، وقد ذكرها السارد مائتان وثمانون مرة داخل الرواية.

3-أحمد بـــاي:

تعود أصل كلمة باي في قواميس اللغة العربية بمعنى الله معك، والتي كانت تستخدم في الصلاة، والابتهال. هو أحمد بن محمد الشريف بن أحمد القلي كان أبوه خليفة في عهد الباي

[1]) فؤاد صالح السيد :الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985 ص34.33
[2]) الدكتور يحي بوعزيز (2004) نفس المرجع ، ط1 الجزائر ص 153.
[3]) الرواية ص322.
[4]) الرواية ص257.

حسن، وجده أحمد القلي حكم بايلك الشرق 16 عاما، وهو ينتمي إلى عائله ابن قانا، وهي أقوى قبائل الصحراء، فقد هربت به أمه من قسنطينة بعد أن مات زوجها مخنوقا حتى لا تطال ابنها يد الخيانة، التي طالت أباه فهربت به إلى أخواله في الصحراء زيبانة الذين ربوه أفضل تربية، على أخلاق الصحراء، والفروسية، والشهامة، وتعلم اللغة العربية، وقواعدها، وأدى الحج، وهو في سن الثانية عشر سنة، وأنه كان قائد العواسي، وهي قبيلة كانت موجودة في الإقليم الشرقي لإقليم قسنطينة، حيث يقوم بمهمة الرقابة لضباط القصر.

"إن وصفا عاما لشخصية الباي النفسية، والسلوكية، تبين لنا أنه كان رجلا صارما، وشديدا يتمتع بالذكاء، وعزيز النفس، كان يتمتع بشخصية قوية بالقياس إلى البايات الذين سبقوه في الحكم، حيث استطاع أن يثبت بجدارته الداخل، والخارج ويخضع القبائل إلى إدارته إذ عرف كيف يبقى حتى سقوط الحكومة التركية "[1] .

تظهر شخصيته داخل الرواية أنه قائد عسكري تصدى للهجمات بكل قوة وهذا ما جاء في قول السارد:" كان أحمد باي في كل مكان بكل ما يملك من عنفوان يصيح في الجميع لن يمر إلا على جثتنا، وكان يحرص أن يفرض سيطرته على الجميع يحدد الميدان نوع السلاح، و زمن المواجهة، وطريقتها كأنما يخشى انقلاب الأمور من بين يديه، لكن قسنطينة سقطت في يد غاصبيها " [2] وهو شخصية حقيقية ذكرها اثنا عشرة مرة داخل الرواية.

وقد أضفت هذه الشخصية مسحة تاريخية من خلال أنها نموذج من نماذج المقاومة الجزائرية في الشرق الجزائري ضد الفرنسيين، وكان له دور في إرساء دعائم دولة قائمة على الأمن والإستقرارمن أجل بناء دولة جديدة بصفته رجل دولة مقاوم، وكذلك من خلال الإهتمام بالجانب الثقافي والعمراني، وتفاوض الفرنسيين معه إلا أنهم فشلوا في ذلك .

4- **رايس حميدو :**

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أن كلمة رايس (مفرد) صفة مشبهة تدل على الثبوت من رأس/رأس على رئيس (مخففة) سيد القوم أميرهم.

[1] حمدان خوجة ، المرآة تقديم وتعريف وتحقيق ، محمد العربي الزبيري الجزائري 1975 ص173.
[2]) رواية ص 516 .

"هو بن علي كان من كبار البحارة المشهورين في زمانه، وهو جزائري الأصل كان أبوه خياط عشق البحر، وتوجه إليه منذ صغره، وترقى من بحار إلى ضابط ثم إلى أمير للبحر، وكان لصعوده هذا، وتميزه، وتسيده على إمارة البحرية الجزائرية يتزامن مع قيام الثورة الفرنسية، ومجيء نابليون للحكم " [1] أماداخل الرواية فقد قال السارد:".. وجلستا عند القبر في خشوع تتلوان القرآن، وعلى ذلك دأبتا كل حلول ذكرى استشهاد الرايس وهو يخوض معركة ضد الأسطول

الأمريكي ضد الأسطول البرتغالي قريبا من الشواطئ الإسبانية كان قتله صدفة بقذيفة أصابت حراقته ".[2] تبدو شخصية(الرايس حميدو)داخل الرواية حقيقية تاريخية لذا ذكرها السارد، حوالي اثنا عشرة مرة.

5- الداي حسين:

جاء في قاموس الأسماء، والمعاني أن كلمة داي اسم أجنبي يطلق على الذكور، ويعني المضيء، والمتألق، والساطع، وله معنى أخر، وهو الصديق المحبوب هو" حسين ابن الحسن آخر دآيات الجزائر، ولد في مدينة أزمير التركية حوالي عام 1773 وكان أبوه ضابطا في سلاح المدفعية، ولهذا كان ميالا إلى العمل العسكري تلقى تكوينا خاصا، وبعدها أرسل إلى القسطنطينية لمزاولة دراسته في مدرسة خاصة كجندي بسيط كما أنه مارس تجارة التبغ في إحدى مراحل شبابه حتى لقب باسم خوجه التي تعني بالعثمانية تاجر، بعدها تدرج في العسكرية درجة جندي بسيط إلى متخصص في المدفعية، وكان على قدر كبير من الثقافة الإسلامية كحفظه للقرآن، والتزامه بأحكام الشريعة المحمدية "[3] .

[1]) كتاب الرايس حميدو وأميرال البحرية الجزائرية (1770-1815) الجزء الأول ط01 ، الجزائر،(دار ثالة)2006 ص03.

[2]) رواية ص 20 .

[3]) الداي حسين ، (آخر دايات الجزائر)،ط1 الجزء الأول ص03.

أما عن شخصيته داخل الرواية تظهر أنه شخصية دينية مسلمة من خلال ما جاء في قول السارد : " واندفع الداي حسين، واقفا غضب حدق لحظات في الوافد ثم تمالك نفسه يرفع سبحته إلى الأعلى ثم قال اتسيء إلى السبحة إبراهيم آغا ? أنت تسيء إلى شعائر الله "[1].

وقد ذكره السارد فيما يقارب خمسة وستون مرة داخل الرواية، وهو شخصية حقيقية ساعدت في فترة حكم الوجود العثماني في الجزائر.

6-ابراهيم آغـــا:

جاء في شرح كلمة آغا على أنها لفظ يدل على الشرف، والسمو في كثير من اللغات كالكردية، والتركية وقيل أنها كلمة من أصل فارسي تطلق على أصحاب النفوذ، والوجهاء

في الدولة من الرجال، والنساء، وقد درج عند العرب اسم الآغا كلقب على العائلات التي تميزت بقوتها، وسيطرتها على الثروات كالأنظمة الإقطاعية.

أما أيام الحكم العثماني فإن لقب الآغا أطلق على دلالة على الرئيس، والسيد، وهو لقب استخدم حينئذ بمجالات الحياة العسكرية .

هو "توماس كيت عسكري بريطاني حكم المدينة المنورة عام 1815 أطلق عليه الأتراك اسم (إبراهيم آغا)، وهو اسكتلندي مواليد أنقرة أثناء الحملة الانجليزية على مصر، وابراهيم آغا كان يشغل منصب رئيس مماليك طوسون، وهو شاب في العشرين من عمره، وهو أحد الفرسان الذين ساعدوا طوسون بالصمود، وتنظيم جيوشه عندما تعرض فيها جيشه للحرب"[2].

شخصيته داخل الرواية تكمن في أنه ذاك الإنسان الطموح، الذي تأخذه الأطماع باحثا عن السلطة، وذلك لأنه صهر الداي حسين فيريد أن يدبر له المكيدة ليطيح به، ويأخذ السلطة ، ويتضح ذلك جليا من خلال قول السارد : "عليك أن تكون مؤدبا يا إبراهيم آغا لا

[1]) رواية ص34

[2]).Wiki<https: //ar.m.wikipedia.org

تنسى أنك تخاطب سيدك ، ومولاك الداي حسين، ولولا أنك صهري لكان حسابي معك عسيرا"[1] أما عن أطماعه " فليعلم الجميع أني داي هذه الجزائر الجنة، ومن بعد سيرث حكمها أبنائي إلى يوم القيامة شكرا شكرا وقبلنا ولائكم وبيعتكم "[2] وهذا مايبين أطماعه الحقيقة في السلطة.

7- حمدان خوجــه :

جاء في قاموس معاني الأسماء أن خوجه اسم أسرة فارسي أطلقت على معلـم الصبيان

المدرس، وهو تحريف لكلمة خواجة، ثم غدا الاسم لقبا، وشهرة لأسر لا علاقة لهم بالتعليم ينتمي(حمدان خوجـه) إلى عائلة جزائرية عريقة، كانت في العاصمة ولد سنة 1773 حيث كان والده عثمان فقيها، وإداريا يشغل منصب الأمين العام للإيالة يشرف على حسابات الميزانية، وعلى السجلات التي تشمل أسماء، ورتب الإنكشارية أما خاله الحاج محمد فكان أمينا للسكة قبل الإحتلال الفرنسي نشأ في بيئة محافظة فتعلم القرآن، وبعض العلوم، وهو في سن صغير ثم ذهب إلى إسطنبول في رحلة مكافأة على إجتهاده

فبعد وفاة أبيه اشتغل مكانه مدرسا للعلوم الدينية، ثم مارس التجارة مع خاله، وهكذا إلى أن وافته المنية سنه 1842 ميلادي .أما داخل الرواية فقد قال السارد: : "

– قال أبو حمزة القرطبي، وهو يربت على ركبتيه حمدان خوجه الذي بدا مهيبا في لباسه، أنيقا في هيأته، ضخم العمامة، كث الشارب، لامع العينين، يفيض حيوية، رغم سنه المتقدم قد قارب الستين "[3]

تظهر شخصيته داخل الرواية أنه إنسانا ذا هيبة ورأي.

– بعد عرضنا لشخصيات التاريخية داخل الرواية، يتضح لنا بأن الروائي لم يعطيها عمل بطولي فقد كان دورها داخل الرواية باهت نوعا ما، وهذا ما يربط الشخصية التاريخية بالذاكرة.

2- الشخصيات المتخيلة:

[1]) رواية صفحه 34.
[2]) الرواية ص58.
[3]) رواية ص 45.

" تعرف الشخصية المتخيلة بأنها الشخصية التي لا تملك وجودا موضوعيا خارج النص، لكنها تقوم ببعض الوظائف التاريخية، وتعمل على تسريع الوقائع (وقائع النص)، والتأثير فيها، وتغيرها "[1] أي بمعنى الشخصية المتخيلة ليس لها عمل خارج النص الروائي .

الشخصية بهذا المفهوم شخصية خيالية ابتدعها، وابتكرها الكاتب لتقوم بأفعال وأدوات تساهم في استمرارية السرد لضرورة الرواية، وبهذا فان وجودها يكون وجودا غير حقيقي، لكن العمل على انسيابها صفة واقعية التي يسند لها، فهي " شخصيات غير مستقرة، و غير ثابتة بمعنى أنها متغيرة، ونامية حسب المتطلبات السردية لتبقى في الإطار على وتيرة واحدة على طوال المسار السردي"[2]،أي الشخصية المتخيلة هي من إبداع الروائي .

و " لقد لجأ الروائي إلى هذا النوع من الشخصيات، حتى يتمكن من شحنها بالعديد من الأفكار، والتعابير التي تتجسد في جل أحداث، ووقائع تعبر عن مجريات الحياة، وما فيها من مشاكل فهي بمثابة القناع الذي يستعين به الروائي لتوصيل أفكاره، ومشاعره للآخرين، وتأتي الشخصية المتخيلة داخل الأعمال الفنية التي تكسب صفة تاريخية لإكمالها المشروع الذي وضعه الروائي، وأراد إتمامه من خلال هذه الشخصيات لا تحدها مرجعية، ولا تقيدها نصوص التاريخ القديم فهي ليست وليدتهم، وإنما وليدة الأفكار، وتبلورها على نحو خاص "[3]، فالروائي يجسد أفكاره، وأحاسيسه، داخل الرواية من خلال الشخصيات المتخيلة . فمن هذه الشخصيات نجد شخصية:

1- شامخة :

جاء في معجم لسان العرب أن معنى شمخ، شمخ الجبل يشمخ شموخا علا، وارتفع أما شامخة: كلمة أصلها الاسم (شامخ)في صورة مفرد مذكر، وجذرها (شمخ)، وتحليلها (شامخ + ة).

تعد هذه الشخصية قلب الرواية النابض بالحياة، والأمل، ورمز الخلاص، والنجاة، فهي فاعلة في أحداث الرواية، وذلك يتضح من خلال السارد ذكرها ما يفوق مائتان، واثنان

[1]) محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي ،في جماليات التشكيل الروائي دراسة في ملحمة الرواية ص 165.

[2]) المرجع نفسه صفحه 166.

[3]) صافية سلامي، رأية التاريخ في رواية شعلة المائدة لمحمد مفلاح ص 71 .

وأربعون مره داخل الرواية، وكذلك بروزها من بداية الرواية إلى نهايتها، وهي شخصية اجتماعية تأثرت بمجتمعها الذي كانت تعيش داخله، أما عن حالتها النفسية فكانت تعيش حالة نفسية صعبة، وذلك لأنها تأثرت باستشهاد خالها الرايس حميدو أولا، وفقدان أخيها شامخ ثانيا، حاملة هم، وطنها نظرا للظروف التي مرت به، وذلك يتمثل في قول السارد: "كانت كلما عن لها الأمر ركبت أدهمها وانحدرت من الأعالي إلى مسكنها على شاطئ البحر، حيث ترسو لها سفينة ورثتها عن خالها، وعلى هذه الحكايات رافقته وجنوده كانت تتبع طرقة البحرية "[1] ، و كانت فارسة تميل إلى العلم، والفن، وفي ذلك يقول السارد :

"و كانت أميل إلى العلم والفن أول الأمر ثم تعلق قلبها صارت تقضي كثيرا من وقتها في الفروسية"[2].هي مرأة لكن في تصرفاتها وصفاتها كأنها رجل،وهذا يدل على أنها مرأة شجاعة ذات عزيمة وإرادة .

2-شامخ:

تدور شخصيته في أنه منذ صغره تأثر بخاله فاتبع طرق البحرية، وقد ذكره السارد داخل الرواية ثمانية، وأربعون مرة، وذلك يتضح من خلال قول السارد :" جنح شامخ إلى عالم البحار، وأوغل فيه كلية بعد وفاة والده رغم محاولات، والدته في أن تثنيه عما كانت تراه مجرد غي أودى بخاله رغم ما كان له من مواهب، وقدرات ركوب البحر، وخوض لججه، ومخاطره، وظل شامخ مصرا على عشق البحر، ومعانقة أهواله، وقد رضع ذلك صغيرا من فم والدته حتى كانت تهمس في قلبي الصغير بأساطير عن عبقرية خاله، وعن بطولاته، وعن انتصاراته على الجن، والعفاريت، والحيتان العملاقة، ولم يكن شامخ يدرج في المدينة حتى ملأت وجدانه حكايات، وأساطير لا تنتهي عن خاله يتناقلها كبار، والصغار بكثير من الفخر والاعتزاز ".[3]أما عن صلته بشامخة، فجاء في قول السارد :

---

[1]) الرواية ، ص 21.
[2]) رواية ، ص 31 .
[3]) رواية ، ص 30 .

–" التفت إليه العيون أسرع يرحب، وهو يزيل اللثام عن وجهه ارتعشت شامخة، وهي تراه اضطربت قليلا في مكانها، وصاحت شامخة أخي شامخ."[1]هو شخصية ساعدت في أحداث الرواية رغم غيابها لمدة طويلة ولكن سرعان ما عادت واندمجت داخل الأحداث.

3– نانا :

هو اسم علم شخصي مؤنث، وأحيانا مذكر له عدة أصول بلدان مختلفة. أما في ثقافتنا الشعبية يطلق اسم(نانا)على الجدات.

هي خادمة شامخة، والتي أكملت تربيتها بعد وفاة أمها فكانت تساندها فيقول السارد:" استقدمها علي القلعي من الشارع و قد كانت مشردة تعيش على صدقات الناس احتضنتها زوجته رفيقة لها لا خادمة، وعلى يدها تربى شامخ، وشامخة " [2] وأما عن خدمتها لشامخة فتكمن في قول السارد : " أسرعت إليها الخادمة نانا تجمع ما ترميه خلفها من وسائل الملاحة التي تعودت أن تستعين بها حين تغيب أياما في رحلتها البحرية سحب الخادم الجواد بعيدا وظلت نانا تخطو بحذر خلف سيدتها وقد تمزق قلبها حصره عليها ."[3] وهي شخصية، وظفها السارد لتكون مرافقة لشامخة، وهي شخصية فاعلة في سير أحداث الرواية، وقد ذكرت أربعة، وثلاثون مرة داخل الرواية

4–شيخ الإسلام:

جاء في معجم المعاني الجامع أن كلمة شيخ الإسلام: لقب يطلق على فقهاء الإسلام، وقد كان محصورا برجال العلم، والتصوف. وهو رجل دين، ولقد وظفه السارد باعتباره جزء امن البنية المعرفية التي تفرض، وجودها داخل الوقائع، وتؤثر فيها فقد ذكره السارد خمسة عشرة مرة داخل أحداث الرواية .وهو مساعد الداي حسين منذ بداية حكمه، ويظهر ذلك جليا في قول السارد:

" لكن شيخ الإسلام دخل فجأة، وانخرط في الحديث مباشرة .

---

[1]) الرواية ،ص 530 .
[2]) الرواية ،ص 530.
[3]) رواية ، ص 15.

و لتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين، ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ".[1]

أما عن تفكيره في مكانته، وقربه من الداي حسين فجاء في قول السارد :" لم يكن شيخ الإسلام في تلك اللحظة يفكر إلا في مكانته من الداي حسين، وهل ستكون له خطوة في أن يرحل مع سيده ضمن حاشيته، وهو الذي خدمه منذ اعتلى سيده الحكم في هذا البلد؟".[2]نلاحظ بأن شيخ شيخ الإسلام رغم أنه رجل دين ومتصوف لكن يفكر في مكانته قرب الداي وهذا مايتنافى مع التصوف.

5- منارة :

جاء في قاموس معاني الأسماء :

اسم علم مؤنث عربي أصله من النور وهو الموضع الذي يشع منه النور، الشمعة ذات السراج لكن لو تأملنا بين معنى الاسم في القاموس والشخصية التي وظفت داخل الرواية بنفس الاسم سنلاحظ عكس المعنى فهي شخصية جاءت جاسوسة وقد جئ بها لتجسس على الداي حسين، ولها أطماع بأن تصبح أميرة، وفي ذلك يقول السارد : "عاد إبراهيم مبتسما، وهو يقول منارة، يقينا كنت تتصنتين علينا ردت بصوت خافت وهل أدعك لوحدك، أنا اتبعه كظله دون أن يشعر."[3]أما عن أطماعها، ومكائدها فيقول السارد:"- لن أطمئن حتى أرى رأس الثعلب، اللعين معلقا تلعب به الصبيان .لن اطمئن حتى أعين على رأس الجيش، إبراهيم آغا قائد جيش الداي حسين عندها سيكون الطريق سالكا لتحقيق أحلامي، وأحلامك "[4].

وقال كذلك :

" اقتربت منه حتى كادت تلتصق به، وقالت مطمئنة

خفف أحقادك المهم أن نزيله من القيادة فليس من السهل أن نوغر صدر الداي حسين بقتله."[5]

---

[1]) رواية ،ص 131 .
[2]) رواية ،ص 132 .
[3]) رواية ، ص 38.
[4] رواية ، ص 38.
[5])رواية ، ص38 .

وهي شخصية متخييلة ، وقد ذكرها السارد داخل الرواية أربعة عشرمرة.

6-محمود الحوات :

وهو طرف فاعل في أحداث الرواية ، وهو بائع سمك بسيط يصفه السارد، وصفا دقيقا يدل على بساطته، وحرفته فهو : فهو شاب أسمر يعمل في صيد السمك، وصفه الكاتب بأنه يرتدي ثيابا خفيفة مما اعتاد الصيادون أن يلبسوه بعد الانتهاء من العمل.[1] فقد، وصفه السارد وصفا خارجيا أنه رجل يغير على رزقه داخل البحر.

بعد عرضنا للشخصيات المتخيلة داخل الرواية، يتضح لنا بأن الروائي أعطى، وأسند إليها أدوارا تاريخية بطولية، وقد ركز عليها كثيرا داخل أحداث الرواية مثلا شخصية" شامخة" وهي شخصية موجودة في الواقع، إلا أنها ليست بنفس الاسم وهذا ما يربط الشخصية بالذاكرة، وبعد الإنتهاء من العمل.

دراسة بنيه الشخصية في الرواية، نلاحظ بأن الروائي، وظف شخصيات حقيقية، وأخرى متخيلة، كما أننا استطعنا من خلال هذه الشخصيات التاريخية استخلاص الأثر التاريخي، وكما دمج بين الأحداث التاريخية، و الأحداث المتخيلة في قالب واحد، وهذا ما نسميه استدعاء، كبير للذاكرة أي ربط الشخصية بالذاكرة، وقد ساعدت الشخصيات بنوعيها في إضفاء صبغة جمالية تاريخية على مستوى نص الرواية.

المبحث الثاني :علاقة الذاكرة بالزمكان .

من المظاهر البنائية في الرواية ثنائية الزمان، والمكان التي تعد من أهم اللبنات التي تساهم في تشكيل عناصر الرواية، ولا يمكن الفصل بينهما لأنهما يتدخلان مع بعضهما البعض بطريقة متشابكة، فالزمن يصنع فن القصي، والمكان .

لايمكن للرواية التخلي عنه، ولاريب في أنهما مكملان لباقي عناصر السرد من شخصيات، وأحداث، وصراعات، وهدا ماجدب اهتمام النقاد، والباحثين نظرا لأهميتها، ووجوب، وجودهما

[1] ينظر الرواية ، ص 42 .

في الدراسات السردية، ومن هذا المنطلق سنحاول تسليط دراستنا في معالجة البنية الزمكانية في رواية عناق الأفاعي، وإبراز علاقتهما بالتاريخ مادام موضوع الدراسة له علاقة بالتاريخ .

مدخل عام للزمن:

الزمن من أهم العناصر التي اهتم بها نقاد السرد، وقد صعب تحديد مفهوم له حيث تعددت الآراء، وسنورد في مبحثنا هذا أهم ماقيل عنه من طرف الأدباء، و الروائيين، وقبل ذلك سنورد مفهوم الزمن الروائي أولا.

- "يمثل الزمن محور الرواية، وعمودها الفقري الذي يشد أجزاءها، وقد أكد الكثير من الدارسين أن الرواية هي فن تشكيل الزمن بامتياز لأنها تستطيع أن تلتقطه، وتحضنه في تجلياته المختلفة المثولوجية، والدائرية، والتاريخية، و البيوجغرافية والنفسية "[1]

أما عن تعريفه اللغوي في لسان العرب:

"الزمن، والزمان اسم لقليل الوقت، وكثيره، وفي المحكم الزمن، والزمان العصر والجمع أزمن وأزمان وأزمنة "[2]يرتبط بالوقت بحيث يتألف أويتكون من ماضي، وحاضر، ومستقبل والزمن نوعان ،زمن طبيعي، وزمن نفسي .

الزمن الطبيعي (الموضوعي):

يتسم الزمن الطبيعي بحركته المتقدمة إلى الأمام باتجاه الآتي، ولا يعود إلى الوراء أبدا، و "يتجلى الزمن الموضوعي في تعاقب الفصول، والليل والنهار، وبدء الحياة من الحياة إلى الموت فهذه المظاهر كلها تبرز في وجود الأرض (المكان) أي يتحرك الزمان، وبتعاقب مجددا الطبيعة الأرضية نتيجة الحركة وهذا التجدد يكرر نفسه "[3].

أما الزمن النفسي :

[1]) مها القصراوي: الزمن في الرواية العربية ، ص36.

[2] (ابن منظور (الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)لسان العرب المادة (ز م ن)دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان المجلد الثالث ط 1 1997 ص 202 .

[3]) (مها القصراوي المرجع السابق ، ص22 ص23.

يمتلك الإنسان زمنه النفسي الخاص المتصل بوعيه، ووجدانه، وخبرته الذاتية فهو "نتاج حركات، وتجارب الأفراد، وهم فيه مختلفون حتى إننا يمكن أن نقول إن لكل منا زمانا خاصا يتوقف على حركته، وخبرته الذاتية "فالزمن النفسي لايخضع لقياس الساعة مثلما يخضع الزمن الموضوعي، وذلك باعتباره زمنا ذاتيا يقيسه صاحبه بحالته الشعورية فيختلف في تقديره لأنه يشعر به شعورا غير متجانس، ولا توجد لحظة فيه تساوي الأخرى فهناك اللحظة المشرقة المليئة بالنشوة التي تحتوي على أقدار العمر كله، وهناك السنوات الطويلة الخاوية التي تمر رتيبة فارغة كأنها عدم "[1].

أما عن تعريفه اصطلاحيا:

تنبه الشكلانيون الروس إلى "وجود نوعين من الزمن أثناء تميزهم بين المتن الحكائي، و المبنى الحكائي، وزمن الحكي (يقصد بالأول افتراض كون الأحداث المعروضة قد وقعت مدة الحكي أما زمن الحكي فنرى فيه الوقت لقراءة العمل أو مادة عرضه) "[2]أي بمعنى المتن الحكائي يساوي زمن الأحداث، وزمن الحكي فيساوي مدة القراءة "إن الزمن هو أكثر العناصر السردية تجليا، في الحكي، وهو في الوقت نفسه أكثرها تعقيدا و اشكالية لاسيما في النصوص الروائية الحديثة التي تتأسس على فعل التلاعب الزمني من خلال كسر النمطية المعتادة، وإقامة فضاء معقد، ومتداخل وإذا كانت الرواية في المقام الأول فنا زمنيا يضاهي بعض تكويناته فنونا أخرى، كالموسيقى مثلا ويخضع لمقاييس مختلفة مثل الإيقاع، ودراسة السرعة فالرواية في جانبها المكاني شبيهة بالفنون التشكيلية إذ أن المساحة التي تجري فيها الأحداث التي تفصل الشخصيات بعضها عن بعض بالإضافة إلى المسافة التي تفصل القارئ، وعالم الرواية لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي "[3].

_الزمن التاريخي :

[1])المرجع نفسه ، ص23 .
[2]) سعيد يقطين تحليل الخطاب الروائي ص 70.
[3])سيزا قاسم بناء الرواية العربية لثلاثية نجيب محفوظ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1984 ص 74.

يعتبر الزمن التاريخي، مكونا أساسيا في الرواية التاريخية فمن خلاله استنبط الروائي الأحداث، والتواريخ، و الشخصيات التي تخدم موضوعه، ويضعها في قالب فني.

"و الزمن التاريخي هو الزمن الواقعي (الحقيقي) الذي تقوم عليه الرواية، فهو زمن وقوع تلك الأحداث في الواقع بحيث يمثل الذاكرة البشرية يختزن خبراتها مدونة في نص له استقلالية عن عالم الرواية، ويستطيع الروائي أن يغترف منه"[1].

الزمن في رواية عنـــاق الأفاعي لعز الدين جلاوجي :

في هذه الرواية يعود عز الدين جلاوجي إلى الظروف التي مرت بها الجزائر في ظل الصراعات المتعاقبة عليها، بخاصة الحملات الاسبانية إلى الوجود العثماني، ثم الغزو الفرنسي الذي واجهته المقاومة الجزائرية بشدة تحديدا مقاومة الأمير عبد القادر، فينقل لنا أهم الأحداث التاريخية البارزة في مقاومة الأمير عبد القادر .

_ "قاد المجنون سفن قرصنته من هذه المدينة وهاجم ذات ليلة مقمرة من عام 1631 أي قبل قرنين من الآن قرية في التيمور الايرلندية التي كانت تحت الاحتلال الانجليزي "[2].

وهنا قام السارد بداية فقط بذكر السنة لا بذكر اليوم والشهر وترك المجال مفتوحا، وذلك ليعطي مرجعية صادقة، وأحداث حقيقية عن روايته، وهي أسر الانجليز دون أن يتعرض بالأذى لأي أحد من الايرلندين، وهذه الأخيرة حادثة تاريخية ترجعنا الذاكرة إليها، وهي حصار الانجليز وبيعهم عبيد وأغلب سكان القرية تقريبا أصبحوا عبيدا بعض السجناء عاشوا في سفن الجهاد البحري يمارسون مهام التنظيف، وأعمال أخرى في حين أن البعض الآخر قضى سنوات طويلة كجواري أو كعمال فقط اثنان منهم عادوا إلى ايرلندا ، نستنتج أن السارد ذكر السنة فقط أما الذاكرة فأرجعتنا إلى أحداث تاريخية .

_أما في المقطع الموالي فيقول السارد :" واحتياطا تم إرسال جاسوس ثان فاعد خريطة محكمة عن مدينة وهران مما سمح للأسطول الاسباني الانطلاق يوم 29 أغسطس من سنة

[1]) سيزا قاسم المرجع السابق ، ص 26.

[2]) رواية ص 168.

1505وكانت القوات تتكون من 150سفينة و5 آلاف جندي فوصلت، وهران يوم 11سبتمبر ليخوض معركة اقتحام مع السكان دامت خمسين يوما انتهت بسقوط المدينة ، وتحويل جامعها الأعظم إلى كنيسة، وهلل الاسبان لانتصار الصليب على الهلال فأقاموا الاحتفالات لمدة أسبوع كامل، وأعاد الاسبان الهجوم سنة 1509 الهجوم على وهران بأكثر من خمسة عشرة ألف مقاتل "[1].

- نلاحظ بأن السارد ذكر الزمن الطبيعي فنجد أنه صرح بثلاثة حوادث تاريخية بشكل دقيق اليوم والشهر والسنة .وهذا إن دل على شيء إنما يدل على دقة الأحداث التاريخية داخل الرواية، وتسلسلها مما أعطها طابعا تاريخيا واقعيا للأحداث المروية فتاريخ 29اغسطس 1505 هو تاريخ إقلاع الأسطول من ميناء "مالقا ا"لاسبانية.

أما تاريخ 11سبتمبر 1505 وهذا التاريخ يعبر كذالك عن حدث تاريخي، وهو نظرا للأهمية الاقتصادية الخاصة لميناء المرسى الكبير، وقربه من مدينة وهران التي تبعد عنه ب8كيلومترات، وكذا قربه من اسبانيا، ولأجل "ذلك جعلت المخططات الاسبانية هذا الميناء هدفها الأول لحملاتها، وهكذا وصلت إلى المرسى الكبير في 11سبتمبر 1505 ،وتاريخ 1509 كان الهجوم على وهران، وذلك لأنها إحدى المدن الكبرى الواقعة غرب الجزائر، وثاني أهم ميناء، ومنفذ تجاري بعد ميناء المرسى الكبير، فقام هذا الأخير بإكمال إعداد الحملة، وأبحر الأسطول الاسباني ميناء قرطا جنة الاسباني يوم 7 ماي 1509 وكان مكونا من 15000جندي فأقتله (33)باخرة حربية (51)زورقا صغيرا إلى السواحل، وهران تحت تعين الملك الاسباني فريناد الكاردينال .

[1]) رواية ، ص 272.

فقد اهتم السارد في الرواية، باستحضار وقائع الاحتلال الإسباني ضد الجزائر، وزمن غزوهم لميناء، وهران، واستلائهم على المدينة (وهران) ، والتي بقيت تحت الاحتلال الاسباني عدة قرون إلى أن حررها الأخوان بربوس و عروج .

*نستنتج أخيرا بأن التواريخ الثلاثة كانت مرتبطة ببعضها البعض، وهي احتلال الإسباني لسواحل وهران لكن التواريخ ذكرت مختصرة داخل الرواية، إلا أننا عدنا بذاكرتنا إلى الوراء فكانت لنا معرفة تاريخية، وهي احتلال الإسباني لسواحل وهران، و استحضارها للحوادث التاريخية لأن الذي لا ذاكرة له لا تاريخ له.

بعد عرضنا لعنصر الزمن في رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي، كان لزاما علينا بعد عرض كل تاريخ العودة إلى أحداثه الحقيقية، لذا عرضنا مادته التاريخية الخامة لأن بدونها لا يمكن إعادة بناء الماضي البشري، وهذا لا يتأتى إلا باستدعاء الذاكرة التاريخية فكانت الوسيلة الوحيدة لدراستنا لبنية الزمن فالحوادث التاريخية التي ذكرت في الرواية عدنا إلى قصصها الحقيقية، واستنبطنا منها فهذا ما ربط الزمن بالذاكرة، واكسبها اتساقا، وانسجاما زد على ذلك كله اكسبها جمالية .

مفهوم عام للمكان:

يشكل المكان إيقاعا نفسيا عميقا في طريقة إنشاء شعرية روائية سردية تجعل منه محورا أساسيا، أو سجادة يطولها الجميع، بحيث لا يمكن تصور رواية دون مكان غير أنه لم يحظى بالقسط الكافي من الدراسات، ولم يجذب اهتمام النقاد إلا مؤخرا، ولقد أثبت المكان منذ القديم دوره في تكوين حياة البشر وترسيخ كيانهم, ويجسد الحاضنة الاستيعابية، والإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات الروائية, وتتفاعل معه ، بمعنى أن أي نص سردي حكائي لابد أن يتوفر على عنصر المكان مع العناصر الأخرى(الزمن، الشخصية...) فتتلاحم في بناء محكم لتنسج القصة أو الرواية بأسلوب فني.

وقد تضاربت الآراء والنظريات حول مفهوم المكان, وخاصة المكان الروائي ولتوضيح أكثر سنتطرق إلى المفهوم اللغوي, والاصطلاح للمكان كالأتي:

– "المكان هو الموضع, والجمع أمكنه وأماكن توهموا الميم أصلاً حتى قالوا: تمكن في المكان صارت الميم كأنها أصلية, والمكان مذكر"[1]

– (فالمكان في المفهوم اللغوي هو الموقع, والموضع، وهو يشير الى المكان الحسي لقوله تعالى: « واذْكُرْ فِي الكِتَاب مَرْيَم إذ انْتَبَذَت مِن أهلها مَكَانًا شَرْقِيًا » [2]. سورة مريم الآية 16

– **المفهوم الاصطلاحي :**

ويعرف الباحث "ياسين النصير" المكان في كتابه الرواية والمكان فيقول: "المكان مفهوم واضح يتلخص في أنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصه التفاعل بين الإنسان ومجتمعه ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي أخر يحمل جزء من أخلاقيات ووعي وأفكار ساكنيه "[3]أي أن المكان عنده ليس مجرد ديكور خارجي بل يساعد بسير أحداث الرواية .

– ويقول حسن البحراوي في تعريف المكان أنه أعطى المكان تصنيفا خاصا ومميزا واستوحاه من دراسته لمجموعة من الروايات العربية المغربية، يركز فيه على بنية الشكل المنتج الذي لا يخلو من الدلالات والمعاني وقد اعتبر المكان عنصرا سرديا لا ينفك عن باقي العناصر السردية الأخرى كالشخصيات والإحداث، وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات، التي يقيمها ويجعل من العسير فهم الدور الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد "[4] و نجمل القول بقولنا أن المكان عنصر جوهري في بناء المتن الروائي مثله مثل الزمن و الشخصيات، فالمكان هو الجغرافية الخلاقة للعمل الفني.

لقد جاء فضاء المكان في رواية عناق الأفاعي مجسدا تجسيدا مميزا, ومتجاوز الهياكل الخارجية والتأثيث السطحي، عاكسا بذلك آمال وعواطف شخصياتها خاصة شخصية "الأمير" و هذا راجع إلى براعة الروائي، وحسن تصرفه في هذا العنصر، فعمل على المناسبة بين الحدث و

[1]) ابن منظور لسان العرب مج 13، ماده كون، دار الجيل بيروت ص 136.

[3])ياسين النصير الروايه والمكان" دراسة المكان الروائي" دارنينوى،دمشق ط2، 2010 ص 80.

[4]) حسن بحراوي بنية الشكل الروائي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1، 2009 ص 121.

المكان، وأحوال الشخصيات، معتمدا على الطابع المرجعي التاريخي للرواية، ويعتبر فضاء المكان من العناصر في الرواية تجسد جزء من مقاومة (الأمير عبد القادر) للاحتلال الفرنسي بأسلوب مميز، وشيق لذا نحن ركزنا على الأماكن البارزة داخل الرواية نذكر منها :

المدينة: وقد ذكرت كثيرا داخل الرواية، وجاء ذلك في قول السارد: " .....وكان السور المنمق اقصر من أن يمنع الرؤيا إلى حيث المدينة البيضاء تمتد آمنة حالمة "[1].

وقال كذلك "وهمت أن تمد ذراعيها على السور الوطيء لتمد بصرها بعيدا عن المدينة "[2]

هو مكان ورد بشكل مكثف، ومتنوع، حيث استخدمه الروائي بكثرة نظرا لتنقل الشخصيات ، وفي هذه الرواية نجد وصف المدينة، وعمرانها الذي يشي بالحضارة والتقدم، كما نجد في الوقت نفسه الإضطراب، والعنف الذي تحياه المدينة من احتلال، كما أن للمدينة دلالة داخل الرواية، وهي المشاركة في مختلف المقاومات.

الصحراء: من الأماكن كذلك نجد "الصحراء"، وجاء ذكرها في الرواية فيقول السارد: انتصر جدي صلى الله عليك وسلم فلول من قبائل متفرقة في الصحراء"[3] وهي عبارة عن عالم تتحكم فيه وتكونه قوى الطبيعة، فعادة الصحراء تكون خالية من الناس، فهي الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد، كما يطلق عليها أحيانا الخلاء فهي تفتقد إلى المؤسسات الحضارية، والأماكن العامة.

وقال أيضا: " أعرفك شاعرا رقيقا يبكيك موت كروان عطشا في الصحراء " [4]

القريــة: ذكرها السارد داخل الرواية مرات قليلة مقارنة بالمدينة، وهي فضاء مفتوح تجلى في متن الرواية من خلال ارتداد الشخصيات التي تعيش في المدن إلى ماضيها تذكر أيام الطفولة

[1]) رواية ،ص 17.
[2]) رواية ، ص 18.
[3]) رواية ص 251.
[4]) رواية ص250.

في القرى، تعتبر من الولادات البكرية الاولى للأمكنة شانها شأن رحم الأم ، وبيت الطفولة تتميز بالبساطة فيقول السارد: " قال قصتي أيها العقيد مع شامخة وشامخ تعود لأكثر من أربعين سنة ، أو ما يقارب منتصف قرن، حيث كان أهلي يعيشون آمنين في قرية جنوب فرنسا "[1].أي كان الولوج لها قليلا مقارنة بباقي الأماكن الأخرى .

فمن حيث الأماكن الثلاثة التي ذكرناها (المدينة، الصحراء، القرية)، نلاحظ أن حضور المدينة كان غالبا على (الصحراء والقرية) دلالة على أن أحداث الرواية جاءت أغلبها في المدينة.

كما ذكر الروائي عز الدين جلاوجي مجموعة كبيرة من البلدان، و المناطق التي عبرتها الشخصيات الروائية نذكر منها (وهران، قسنطينة، الجزائر ، البليدة، فرنسا، الأوراس، معسكر ، تلمسان، الأغواط، أرزيو ، بسكرة، مستغانم، عنابة، سكيكدة، سطيف) ، وهذه كلها مدن ذكرها لها علاقة بالذاكرة التاريخية، لأن هذه المدن شهدت أحداث تاريخية هامة في ذلك الزمن كما جاء في قول السارد:" و لهذا الغرض سيقيم ممثلوا الأمير في وهران ، و مستغانم، و أرزيو لمنع الصدام بين الفرنسيين، و العرب سيقيم الضباط الفرنسيون في مدينة معسكر" [2] و من خلال عرضنا لهاته الأماكن، و المدن، نجد السارد ركز على بعض المدن دون غيرها مثلا وهران قسنطينة، و معسكر، و عنابة وذلك راجع لمكانتها التاريخية أثناء المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي . و قد ذكر كذلك أماكن يمكن تصنيفها داخل الأماكن المغلقة فنجد:

الجامع :

فيقول السارد : " ما كاد حمزة القرطبي ينعطف مندفعا إلى الجامع العتيق حتى خرج عليه مسرور يقذفه بكلمات نابية لا يكاد يرتبها" [3]

[1]) رواية ص560.
[2]) رواية ، ص 298.
[3]) رواية ،ص32.

و ذكر كذلك جامع كتشاوة بصفة خاصة فيقول " لا أريد أن نبتعد في موضوع اللقاء، أيها الإخوة، إنهم يخططون لاقتحام جامع كتشاوة، و تحويله إلى كنيسة تكون منطلقا لحملة تنصير كبيرة " [1]

و ذكر المسجد قليلا فقال السارد: " غير العادة خرج أبو حمزة القرطبي من باب النافورة، و هو أكبر أبواب المسجد العتيق" [2]ما نستخلصه من هنا هوأن الروائي ذكر الجامع، و المسجد، و جامع كتشاوة، و لكن جامع كتشاوة كان ذكره أكثر، و هذا راجع لقيمته في مدينة الجزائر فهو مسجد تركي قديم، وقد قام فيه الفرنسيون بمذبحة عندما قتلوا أربعة آلاف مصلي تحصنوا بالمسجد، ورفضوا تحويله إلى كنيسة، ولذلك سميت الساحة الموجودة قربه بساحة الشهداء .

بعد عرضنا لعنصر المكان في رواية "عناق الأفاعي" لعز الدين جلاوجي، تبين لنا أن كل مكان له دلالة خاصة، وهذا لا يأتي إلا إذا ربطناه مع الذاكرة فبداية مدينة معسكر التي ذكرها السارد داخل أحداث الرواية، والتي لها قصة تاريخية يقول السارد : "يجب أن تتخذ لنا عاصمة، وقد اخترت هذه المدينة المباركة مدينة أم العساكر معسكر المصونة لأهلها من فضل الشيم إلى رفع راية الجهاد وهي فضاء جرت فيه أغلب أحداث الاستذكار للأمير لأنها قريبة من مسقط رأسه خاصة ما تعلق منها بالفترة الأولى من حياته ومنها انطلاقة مقاومته.

أما بالنسبة لفضاء "قسنطينة" لقد ربط بمقاومة(أحمد باي) فقد جاء في قول السارد: "سأسافر إلى قسنطينة لعلي استطيع أن أقف إلى جانب أحمد باي في مقاومته المحتلين " [3].

وهران ، كذلك فضاء ذكر داخل ثنايا الرواية بشكل كبير، وقد ارتبط بالإحتلال الإسبان للمرسى الكبير عام 1505وقد ساعدت في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي.

بمعنى إحياء المعارك التي وقعت في أماكن معينة مثل معركة التافنة ، والمكان الذي تمت فيه البيعة في قرية أولاد عبد الواحد بسهل غريس جنب الدردارة. أي الذاكرة هي الهوية والمكان هو الوطن هي علاقة التاريخ، والهوية بالوطن.

---

[1]) رواية ، ص 145.
[2] روايه ، ص 41.
[3]) الرواية ، ص 181

" وقد عانت وهران خلال الإحتلال الإسباني الأمرين، فتعرضت معالمها التاريخية، والحضارية للمسخ، والطمس ، وتعرض سكانها لأبشع مظاهر التعذيب, كالتشريد والإهانة ، و القتل، والملاحقات المستمرة، ولكنهم لم يستكنوا، ولم يرضخوا، ولم يستسلموا، بل جاهدوا الطغيان بكل شجاعة ، وبذلوا كل ما بإمكانهم من غال ونفيس ،واسترخسو أموالهم، ودماءهم، وحرمانهم من أجل طرد المحتلين الغاصبين، وأثبتوا كفاءتهم في المقاومة، ومقدرتهم في المواجهة، والثبات ،حتى حق لوهران أن تكون رمز المقاومة الجزائرية البطولية عبر التاريخ"[1].أي أن مدينة وهران لم تستسلم لأيادي المغتصبين .

وذكر كذلك مدينة عنابة " وتستمر عنابة في سيرها، وتطورها إلى أن يرمي ثقلهم بهذه المنطقة خلال القرن السادس عشر، من أجل الغزو، والإحتلال بعد أن نجحوا في طرد مسلمي الأندلس من ديارهم آواخر القرن، وتكون عنابة إحدى أهدافهم فيغزونها، ويحتلونها ... ويظهر خير الدين كبطل منقذ في هذه البلاد وينتزع عنابة من الاسبان 153 ويعيد لها حريتها "[2].مدينة عنابة كان لها أبطال طردوا الإسبان وأعادوا هيبة مدينتهم من بينهم البطل خير الدين .

أما مدينة الجزائر التي ذكرت أيضا داخل أحداث الرواية، وهي أول مدينة سقطت أثناء الحملة العسكرية.

بمعنى إحياء المعارك التي وقعت في أماكن معينة مثل معركة التافنة، والمكان الذي تمت فيه البيعة في قرية أولاد عبد الواحد بسهل غريس جنب الدردارة. أي الذاكرة هي الهوية والمكان هو الوطن هي علاقة التاريخ، والهوية بالوطن.

نستنتج بعد دراستنا لعنصر الشخصية الروائية، والزمكان، وعلاقتهم بالذاكرة، بأن الذاكرة فعل إستعادة لزمن ماض كوسيلة لإصلاح الحاضر، والغاية فتح أبواب التعاطي مع مستقبل بوعي، وقد تكون بالعكس أي أن الروائي يهتم بالحاضر، وجذوره المستمدة من الماضي لكي ينشغل بها عن التطلع إلى المستقبل .. وبذلك تغدو عملية التذكر بمثابة البوابة للإنشطار الذاتي بين ماض ذاهب، وحاضر راهن، وهذا يجعل حياة الشخصيات مستمرة في عالم يتغير. أما الذاكرة

[1]) أحمد توفيق المدني :حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (الجزائر ص 371 .376).
[2]) حسن حسني عبد الوهاب (خلاصة تاريخ تونس) محرم 173 ص118.127.

المكانية، فهي جزء من الذاكرة المسؤولة عن تسجيل المعلومات حول بيئة الشخص وتوجهه المكاني، على سبيل المثال فإن الذاكرة المكانية للشخص مطلوبة للتنقل في أنحاء مدينة يكثر التردد إليها، أو يعيش فيها تفاصيل حياته .

الخاتمة

خاتمة

بعد رحلة علمية ممتعة، مع موضوع استدعاء الذاكرة ، في رواية "عناق الأفاعي" لعز الدين جلاوجي ، انتهينا إلى جملة من النتائج المتوصل إليها نلخصها في النقاط الآتية :

1-" زاوج عز الدين جلاوجي ، في رواية عناق الأفاعي بين " الواقع و المتخيل " إلا أن المتخيل هو الطاغي ، وكان له الحضور الأكبر في الرواية

2-حاول الروائي عز الدين جلاوجي من خلال هذه الرواية ، تقديم قراءة تاريخية لفترة الصراعات التي عاشتها الجزائر، بداية مع الحملات الإسبانية إلى الوجود العثماني ثم الغزو الفرنسي.

3-أما بالنسبة للشخصيات في الرواية، فقد تراوحت بين التاريخية والمتخيلة ، وقد ساهمت الشخصيات المتخيلة، بشكل كبير في تفعيل أحداث الرواية، وإضفاء البعد الفني للرواية، كما أن قدرة الروائي على التخييل وربط الأحداث، مكنته من توظيف لغة مناسبة لكل منها.

4-وصف الشخصيات من خلال الحالة النفسية، والفكرية والتركيز على الجزئيات والتفاصيل الدقيقة داخل الرواية، ومثال ذلك وصفه لشخصية الأمير الإنسان .

5-أما بالنسبة للزماكان، فقد أولى الروائي اهتماما كبيرا، بعنصر الزمن، وبرع في توظيف هذا المكون السردي خلال العودة بالزمن إلى الماضي، وتصويره بطريقة فنية . فتناول الروائي ماضي الجزائر، من خلال الصراعات المتعاقبة عليها، بداية مع الحملات الإسبانية، مرورا بالوجود العثماني، وانتهاء مع الغزو الفرنسي، والمقاومات الشعبية وخاصة مقاومة الأمير عبد القادر.

6-أما المكان فهو مكون سردي حيوي بارز في الرواية، فهو للأحداث أشبه بالوعاء الحامل لها، ولا ينبغي النظر إلى المكان في الرواية، على أنه مجرد ديكور خارجي، لا علاقة له بالأحداث، بل إنه يمثل مسرح الأحداث، ومن الأمكنة البارزة في الرواية مدينة وهران

7-والاحتلال الإسباني، الجزائر العاصمة ودخول الاحتلال الفرنسي، قسنطينة ومقاومة أحمد باي .

8- نجد أن المكان داخل الرواية، له خصائص واضحة، فقد كانت أحداث الرواية تجري في عدة مدن، لتشكل الإطار العام للرواية، الذي يتضمن فضاءات أخرى كمواقع تجري فيها الأحداث .

9- إرتباط المكان بالشخصية، والزمان حيث ساهم في رسم أبعاد الشخصية .

10- نجد أن المكان داخل الرواية، له خصائص واضحة، فقد كانت أحداث الرواية تجري في عدة مدن، لتشكل الإطار العام للرواية، الذي يتضمن فضاءات أخرى كمواقع تجري فيها الأحداث .

11- في الرواية قيم إنسانية تدعو إلى الحب، والتسامي وأخرى إنسانية كالخيانة كما تمثلت في تصرفات بعض الشخصيات.

وفي الأخير نحمد الله، ونشكره ونسأله التوفيق والسداد ، ونأمل كل الأمل في أن نكون قد وفقنا، ولو بجزء بسيط في الإلمام بهذا البحث، ونحسب أننا قد فتحنا المجال لمزيد من الدراسات حول هذا الموضوع للأهمية الكبيرة التي يحتلها في ما يخص تسجيل الذاكرة الوطنية، والبحث عن تجلياتها في الخطاب الروائي الجزائري

ملخص البحث

أولا: باللغة العربية

لقد استدعى الروائي عز الدين جلا وجي الذاكرة ، في رواية عناق الأفاعي، حيث نقل الواقع إلى الخيال بطريقة إبداعية جمالية ، فخلق مجموعة من العلاقات حسب رؤيته الفنية ، داخل الرواية ، حيث تناول حقبة زمنية من تاريخ الجزائر، متمثلة في الاحتلال الإسباني لوهران، الوجود العثماني داخل الجزائر، إضافة إلى المقاومات الشعبية خاصة مقاومة الأمير عبد القادر ، ضد الاستعمار الفرنسي، وقد تضمنت دراستنا لهذه الرواية ،فصلان تناولنا في الفصل الأول طرائق استدعاء الذاكرة في الرواية بطريقتين، الطريقة المباشرة، والطريقة غير مباشرة، أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه علاقة الذاكرة بالشخصيات وكذا علاقة الذاكرة بالزمكان وهذا ما أكسب رواية عناق الأفاعي جمالية الفن الروائي .

الكلمات المفتاحية:

(الذاكرة الوطنية، الرواية الجزائرية، عناق الأفاعي، عز الدين جلاوجي).

Summary

The novelist EZZ EL-DIN JALA WAJI evoked the memory, in the novel The Hug of Snakes, where he transferred reality to imagination in a creative and aesthetic way, creating a set of relationships according to his artistic vision, within the novel, Where he dealt with a period of time in the history of Algeria, represented by the Spanish occupation of Oran, the Ottoman presence in Algeria, in addition to the popular resistance, especially the resistance of Prince Abdel kader, against French colonization, Our study of this novel included two chapters. In the first chapter, we dealt with the methods of employing memory in the novel in two ways, the direct method, and the indirect method. As for the second chapter, we dealt with the relationship of memory with characters, as well as the relationship of memory with space-time, and this is what made the novel of "The Hug of Snakes" aesthetically pleasing novelistic art. key words : (National Memory, Algerian Novel, The Embrace of Snakes, AZZEDINE JALAOUJI).

قائمة
المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أولا: المصادر

- عز الدين جلاوجي ، عناق الأفاعي , دار المنتهى ,الجزائر,ط1, 2021 .

المعاجم:

- ابن منظور لسان العرب مج 13، ماده كون، دار الجيل بيروت

ثانيا

المراجع :

أ - الكتب العربية :

- أحمد توفيق المدني :حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا.
- أحمد رحيم كريم الخفاجي ، المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث .
- الجزائري، الأمير محمد بن عبد القادر :تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ،شرح وتعليق ممدوح حقي ، بيروت ،1964 ،ط 2.
- حسن حسني عبد الوهاب (خلاصة تاريخ تونس) محرم 173.
- حسن سالم هندي إسماعيل، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث (دراسة في البنية السردية) دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن ط1، 2014.
- حمدان خوجة ،المرأة (تقديم وتعريب :محمد العربي الزبيري) ط2 الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982.
- الداي حسين ، (آخر دايات الجزائر)،ط1 الجزء الأول.
- الرايس حميدو وأميرال البحرية الجزائرية (1770-1815) الجزء الأول ط01 ، الجزائر،(دار ثالة)2006 .
- سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، دار الآمان (الرباط) ،ط 1 سنة 2012 .
- سعيد يقطين انفتاح النص الروائي المركز الثقافي العربي بيروت ط1 ،1989 .
- سيزا قاسم بناء الرواية العربية لثلاثية نجيب محفوظ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1984 .
- صافية سلامي، رأية التاريخ في رواية شعلة المائدة لمحمد مفلاح.

- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين ،دار العلوم للنشر والتوزيع ،عنابة .
- فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.
- محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي ،في جماليات التشكيل الروائي دراسة في ملحمة .
- محمد قاضي ،الرواية والتاريخ ، دراسات في التخييل المرجعي ، دار المعرفة للنشر ،تونس 2008 .
- مصطفى محمد مصطفى كامل موسوعة المسرح العربي .
- مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية ، دار الفرس للنشر والتوزيع ،2014، ط1 .
- ياسين النصير الرواية والمكان" دراسة المكان الروائي" دار نينوى،دمشق ط2، 2010 .
- يحي بوعزيز (2004) موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، ط1 الجزائر .

ب- الكتب المترجمة:

- جورج لوكاش ، الرواية التاريخية ت،ر :(صالح جواد كاظم) بيروت 1987، ط 1.
- حسن بحراوي بنية الشكل الروائي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1، 2009 .
- حسين خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات الإختلاف ،ط1، الجزائر ،2002 .
- حمدان خوجة ،المرأة (تقديم وتعريب :محمد العربي الزبيري) ط2 الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982.

ثالثا المواقع الإلكترونية:

- Wiki<https: // ar.m.wikipedia.org 2022/05/21
- كدير مراد، اليهود والجزائر. كرونولوجية الخيانة // https www.noonpost

2022/05/27

- زهرة برياح، الرواية والذاكرة الوطنية، thakafamag.com2022/05/27

ملحق

ملخص الرواية:

جاءت الرواية تحت العنوان التالي " عنـاق الأفاعـــي "، المركب من كلمتين عناق و الأفاعي، و هو تركيب إضافي يبرز لنا ما تعرضت له الجزائر من تكالب للقوى الاستعمارية من القدم .

إذ يعود بنـــا الروائـــي عزالدين جلاوجي، إلى فتـــرة الصراعات التي تعاقبت علـــى الجـــزائر بدايـــة مع الحملات الإسبانية، مرورا بالوجود العثماني نهاية مع الإحتـــلال الفرنسي ، وما نتج عنـــه من تحولات داخل المجتمع الجزائري من معانـاة، وحرمـــان، ونهب للممتلكـــات والثروات.

فتناول الروائي الذاكرة الوطنية ، بطريقـــة تخييلية ابداعيـــة فنيـــة.

بلغ عدد صفحات الروايـــة ستمائة وعشر صفحـــات (610) ، قسمها جلاوجـي إلى ثلاثـــة أقســـام ، كـــل قسم يكمل الآخـــر، فأحداثها من بدايتها إلى نهايتهـــا تمثلت في مغامـــرات " شامخـــة"، وتنقلاتهـــا بين القبائل لشحـــذ الهمم، وتحريضهم علـــى المقاومـــة ، والجهـــاد في سبيل الله، والدفـــاع عن الوطـــن بالنفـــس والنفيس ، بـــدءا من رفـــض الوجـــود العثماني ، والعزوف عن سلطته إلى الاحتلال الفرنســـي، الذي حاول طمس الهويـــة الجزائريـــة، والديـــن الإسلامي بكل ما أوتي من قـــوة، والـــذي واجهـــه الشعب الجزائري، بالمقاومات الشعبية خاصة مقاومة الأميـــر عبد القـــادر ، التـــي دامت أكثر من خمسة عشرة سنة ، والتي أرهقتها الخيانات الغـــادرة ، وكانت من أبطـــال هاتـــه المقاومات "شامخة " وهي تعد رمـــز للخلاص ،والنجـــاة ،وقد التقت " شامخة " فـــي الأخـــير أخاها "شامخ" ،وانتهت الرواية بالقضاء على الخونـــة وفي المقابل صعـــود روح" شامخـــة" للسماء كنجمة تضئ وتنير الكـــون .

،